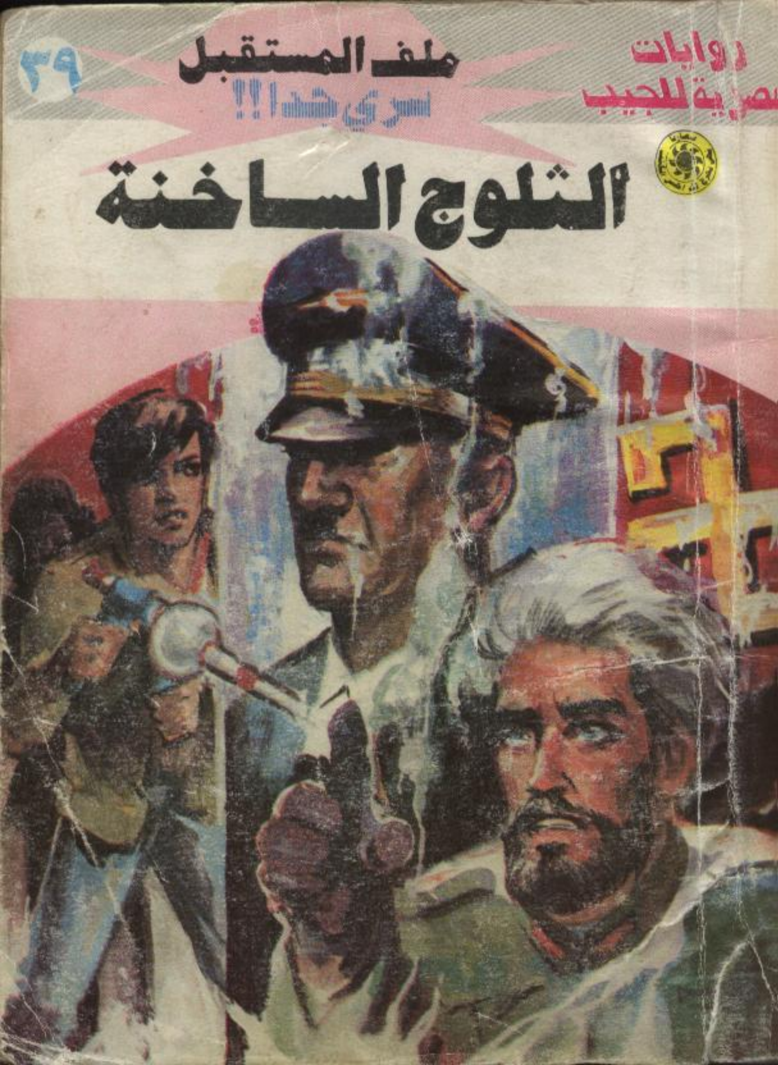
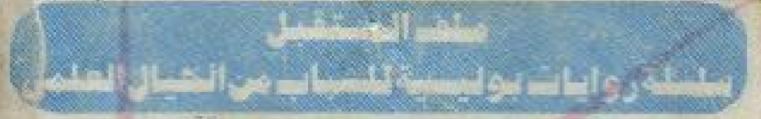

٣٩
ملف المستقبل
سري جدا!!
روايات
مصرية للجيب
الثلوج الساخنة



تأليف



د. نبيل فاروق

٣٩

الثلوج الساخنة

- وما سر تلك الحرارة الخارقة التي تنبعث من وسط ثلوج القطب الشمالي ؟
- كيف يمكن أن يصبح الثلج يومًا ساخنًا ؟
- تُرى .. هل يمكن أن يعود (نور) وفريقه إلى العمل بعد أن تحطم في مغامرته الأخيرة ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. واشترك مع (نور) في حل اللغز .

الثمن في مصر
٦٠
وما يعادل دولارًا أمريكيًا في سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : علامات الخوف



١ ـ انصهار ..

« من المحطَّة القطبيَّة المصرية (جليد ١) ، إلى مركز التجارب الرئيسي بالقاهرة ، كل شيء يسير على ما يرام في موقعنا الحالي من القطب الشمالي » .

انتقل هذا النداء عبْر الأثير ، مخترقًا آلاف الكيلومترات ، من خط طول (٤٢°) جنوبًا ، وخط عرض (٨١°) شمال خط الاستواء ، حيث القارة القطبية الشمالية (جرينلند) ، إلى القسم الخاص بالاختبارات الجديدة ، في إدارة المخابرات العلمية بالقاهرة ، واستقبله الدكتور (عبد الله) مدير المركز في فرح ، وأسرع يجيب :

ــ من المركز الرئيسى إلى (جليد ١) ، نجحت وسيلة الاتصال الجديدة ، وافونا بنتائج تجاربكم أولًا فأولًا .

أتى صوت المتحدِّث من المحطة القطبية ، يقول في مرح :

ــ لقد بدأنا تجاربنا بالفعل ، ولن يمضى وقت طويل ، قبل أن يتم إنتاج السحابة الكهرومغناطيسية و ....

بتر صاحب الصوت عبارته فجأة ، ثم عاد يهتف في توتُّر ، وقلق ، ودهشة :

— يا إلهى !! ماذا يحدث هنا ؟

أثارت تلك العبارة المفاجئة عاصفة من القلق فى المركز الرئيسى ، وصاح الدكتور (عبد الله) فى توتُّر :

— ماذا حدث يا (جليد ١) ؟.. أجب .

عاد الصوت يصرخ فى ذعر :

— لست أفهم ، كل شىء حولنا يلتهب .. هذا مذهل ، إن درجة الحرارة لا تطاق ، وكأننا نسبح فى قلب الشمس مباشرةً .

ارتفعت همهمات الدهشة فى المركز ، على حين هتف الدكتور (عبد الله) :

— درجة الحرارة ؟!.. من أين أتت الحرارة بالله عليك ؟ إنكم فى قلب القطب الشمالىّ ، وفى نصف العام المظلم منه(*) . هل احترقت الأجهزة ؟

تحوّل الصوت إلى كتلة من الرعب ، وهو يصرخ :

— لا شىء يحترق ، ولكننى لا أفهم ما يحدث .. هذا يثير الجنون ، إننا نكاد ننصهر ، على الرغم من أن الجليد حولنا لم يتأثر مطلقًا .. هذا مخيف .

(*) نظرًا لدوران الأرض حول نفسها فى محور ثابت يصل ما بين قطبيها ، ونظرًا لأنها تدور حول الشمس فى وضع رأسى ، يمتد الليل فى القطب الشمالى ستة أشهر كاملة ، ويحوز النهار الأشهر الستة الأخرى من العام.

شمل الذهول كل أفراد مركز التجارب ، وصرخ الدكتور (عبد الله) فى توتُّر :

— مزيدًا من التفاصيل بالله عليك .. هل تسمعنى ؟.. مزيدًا من التفاصيل .

صرخ الصوت ، وكل خلجاته تشف عن الألم والرعب :

— أية تفاصيل ؟.. إننى سأحترق ، كلنا سنحترق .. لقد سقط بعض الرفاق من هول الحرارة .. إننى ...

اكتملت العبارة بأزيز مرتفع ، توقَّف بعده الإرسال تمامًا ، وتفجّر القلق فى المركز ، وراح الدكتور (عبد الله) يصرخ :

— ماذا حدث يا (جليد ١) ؟.. أجب بالله عليك .. أجب .

ساد صمت مطبق خارج جهاز الإرسال وداخله ، ثم هتف الدكتور (عبد الله) فى مساعده :

— اطلب من أقمارنا الصناعية متابعة ما يحدث على وجه السرعة .

أسرع المساعد يتصل بإدارة التصوير عبر الأقمار الصناعية ، على حين راح الدكتور (عبد الله) يدور فى قاعة الاتصال ، ووجهه يحمل أشد علامات التوتُّر والقلق ، وساد الصمت التام داخل القاعة ، والجميع يراقبون رئيسهم فى قلق ،

إلى أن جاء ردّ إدارة التصوير عبر كمبيوتر صغير ، والتقط مساعد الدكتور (عبد الله) الورقة الصغيرة التى تحمل الجواب ، وحدّق فيها بذهول ، فصاح الدكتور (عبد الله) يستحثه على النطق :

ـــ ماذا هناك بالله عليك ؟

رفع المساعد عينيه إلى رئيسه ، وغمغم فى دهشة :

ـــ لا شىء يا سيّدى .

صرخ الدكتور (عبد الله) فى عصبية :

ـــ ماذا تعنى بـ (لا شىء) هذه ؟

قال المساعد دون أن يزايله ذهوله :

ـــ لم تلتقط الأقمار شيئًا يا سيّدى .. لقد اختفت (جليد ١) من موقعها تمامًا .

* * *



٢ ـــ لا فائـــدة ..

راقب رئيس الوزراء المصرى الفيلم ، الذى التقطته الأقمار الصناعية أكثر من مرّة ، واستمع إلى تسجيل للحديث ، الذى دار بين المحطة القطبية ، والمركز الرئيسى ، ثم هزّ رأسه فى حَيْرة للمرّة العاشرة ، والتفت إلى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وقال :

ـــ إذن فقد اختفت (جليد ١) تمامًا ، بكل من عليها من العلماء المصريين .

أومأ القائد الأعلى موافقًا ، وقال :

ـــ ودون أن تترك أدنى أثر يا سيّدى .

عاد رئيس الوزراء يهزّ رأسه فى حَيْرة ، وقال :

ـــ هل أرسلتم من يدرس الأمر ؟

قال القائد الأعلى فى هدوء :

ـــ إننا ننتظر أوامرك يا سيّدى ، فالقضية لم تحدث على أرض مصر هذه المرّة ، ولكن البعثة السعودية هناك تطوّعت بفحص

المكان ، وانتبه إلى أن (جليد ١) لم تغص وسط الثلوج ، ولم تنحرف بعيدًا . لقد اختفت وكأنها لم تكن هناك .

مطّ رئيس الوزراء شفتيه ، وقال :

ــ هذا عجيب ، وماذا عن تلك الحرارة التى تحدثوا عنها ؟

حرّك القائد الأعلى كتفيه دلالة الحيْرة ، وقال :

ــ فحص الثلوج المحيطة بالمكان والمتخلّفة عنه ، أثبت عدم وجود أى مصدر حرارى على الإطلاق .

غمغم رئيس الوزراء وهو يعقد حاجبيه :

ــ يا له من لغز !!

أسرع القائد الأعلى يقول :

ــ فريق واحد يمكنه إيجاد الإجابة ، مهما بدت غامضة أو مستحيلة يا سيّدى .

استدار إليه رئيس الوزراء فى دهشة ، وتساءل ، ثم هتف :

ــ لعلك تقصد فريق الرائد (نور) .

ابتسم القائد الأعلى ، وهو يقول :

ــ هذا ما أقصده تمامًا .

لوّح رئيس الوزراء بكفّه فى ضجر ، وقال :

ــ عُدْ إلى رشدك أيها القائد ، لقد انتهى فريق (نور) منذ صراعه مع غزاة الأرض(*) .

عقد القائد الأعلى للمخابرات العلمية حاجبيه ، وقال فى ضيق واضح :

ــ إن ما أصاب أفراد الفريق لا يعدّ تحطيمًا يا سيّدى ، ولكنه مجرّد استسلام مرحلىّ للإجهاد ، بعد صراع عنيف ، كاد يودى بالعالم كله ، لولا هذا الفريق .

هزّ رئيس الوزراء رأسه فى عناد ، وقال :

ــ محال أيها القائد .

ثم استطرد فى حِدّة :

ــ إننا بصدد لغز خارق للمألوف ، وكارثة أصابت علماءنا فى أرض لا نملك فيها حق السيادة ، ثم تطالبنى بالموافقة على إرسال فريق أصابه الشلل لمعالجة الموقف !.. هل تدرى ما يمكن أن يحدث لو فشل فريقك هذا ؟

هتف القائد الأعلى فى استنكار :

ــ أى فريق هذا الذى أصابه الشلل ؟

صاح رئيس الوزراء :

(*) راجع قصة (من وراء النجوم) .. المغامرة رقم (٣٨) .

— وماذا تسمّى ما أصاب (نور) وفريقه إذن ؟.. لقد سقط هو فى غيبوبة مجهولة ، وانهار رفيقاه (رمزى) و (محمود) ، وحطّم الحزن زوجته (سلوى) .. حتى الدكتور (محمد حجازى) ، الذى يعاونهم بخبرته فى الطب الشرعى ، يرفض مواصلة العمل .

ظهر التبرُّم على وجه القائد الأعلى ، وقال :

— لقد أفاق (نور) من غيبوبته منذ ثلاثة أيام ، وهو يتماثل للشفاء فى سرعة ، وسيقاوم (رمزى) و (محمود) حالة اليأس ، التى تحيط بهما سريعًا و ....

قاطعه رئيس الوزراء فى حِدّة :

— كلّا أيها القائد .. لن أرسل فريقًا انتهى دوره .

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى تصميم ، وقال فى صرامة :

— لا فائدة إذن .

هتف رئيس الوزراء فى عناد :

— نعم .. لا فائدة .

* * *

ابتسمت (سلوى) ابتسامة شاحبة ، وهى تلمح القائد الأعلى يعبر بوابة الحديقة المفضية إلى منزلها ، وقامت تصافحه ، وهى تقول :

— مرحبًا بك ياسيّدى ، إنه لمن النادر أن تشرّفنا بزيارتك شخصيًا .

دارت عينا القائد الأعلى فى أرجاء الحديقة ، حتى استقرّتا على (نور) ، الذى يجلس واجمًا شاردًا ، فوق مقعد صغير ، يراقب ابنته (نشوى) ، التى أخذت تلهو مع جِرْوها الصغيرة ، وقال القائد وهو يشير إلى (نور) :

— كيف حاله اليوم ؟

ألقت (سلوى) نظرة حزينة على زوجها ، وقال :

— فالحمد لله — عز وجلّ — على تجاوزه مرحلة الخطر ، ولكنه فقد شهيته للعمل تمامًا .

ابتسم القائد الأعلى فى حنان ، وقال :

— لا عليك يابنيّتى .. عقل كعقله لايمكن أن يبقى خاملًا .

انبعث الأمل فى عينيها ، وهى تقول فى لهفة :

— هل تعتقد ذلك ياسيّدى ؟

ربّت القائد الأعلى على كتفها ، وسار فى خطوات هادئة نحو (نور) ، الذى لم يكد يلمحه حتى ابتسم ، وغمغم :

— مرحبًا ياسيّدى القائد .. كم تسعدنى رؤيتك .

جلس القائد الأعلى على المقعد المجاور لـ (نور) ، وسأله فى حنان أبوى :

ـ كيف حالك يا (نور) ؟

ابتسم (نور) فى نحول ، وقال :

ـ أعتقد أننى فى خير حال ياسيدى .

بدت عباراته خالية من الحماس ، فابتسم القائد الأعلى ، وسأله :

ـ متى تنوى العودة إلى العمل ؟

حدّق (نور) فى وجه القائد بدهشة ، وغمغم :

ـ العودة إلى العمل ؟!.. كنت أظن ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ـ تظن ماذا أيها الرائد ؟.. إن الإدارة لن تسمح بمـ إجازتك لأكثر من ذلك .

تماوجت الحَيْرة فى عينى (نور) ، وهو يغمغم :

ـ إجازتى ؟!

هتف القائد الأعلى فى حماس :

ـ بالطبع .. إننا متلهفون لعودة فريقك إلى العمل ، من النادر أن تحظى إدارة مخابرات فى العالم أجمع ببطل عالمىّ . حاز وسام البطولة الأولى من الأمم المتحدة .

أطرق (نور) برأسه ، وظلّلت شفتيه ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ شكرًا ياسيدى ، ولكننى لا أميل للأعمال المكتبية .

صاح القائد الأعلى فى استنكار :

ـ من ذا الذى تحدّث عن الأعمال المكتبية ؟ لقد أصدرت قرارى بإنهاء إجازتك ؛ لأنه هناك لغز غامض ينتظرك .

خفق قلب (سلوى) ، حينما لمحت ذلك البريق ، الذى يفيض بالحماس ، والذى تألّق لأوّل مرة منذ شهور طويلة فى عينى (نور) ، وهو يقول :

ـ لغز غامض ؟

أخذ القائد الأعلى يقص تفاصيل حادث الحملة القطبية المصرية على مسامع (نور) ، وهو يحاول إخفاء سعادته باهتمام (نور) البالغ ، إلى أن انتهى من حديثه ، فساد صمت طويل ، عاد القائد يقطعه قائلاً فى ابتسامة حنون :

ـ أصدُقك القول : إن رئيس الوزراء كان يرفض قيام فريقك بالمهمة تمامًا ، ولكننى عرضت تقديم استقالتى بالمقابل ، فما كان منه إلا أن وافق مرغمًا .

عادت إلى شفتي (نور) ابتسامة واثقة ، اختلج لها قلب (سلوى) ، وهو يقول فى صوت حازم طال غيابه عن مسامعها :

ـ أشكر لك ثقتك يا سيدى ، وأعاهدك على النصر .

ثم التفت إلى (سلوى) التى غمرها الفرح ، وقال :

ـ استعدى يا عزيزتى ، سنذهب لزيارة (رمزى) و (محمود) ، ثم ننطلق جميعًا إلى حيث تلتهب الثلوج .

* * *



٣ ـ الصَّحوة ..

اندفعت الحوّامة المصرية (صقر ٧٠٠) بسرعتها القصوى ، مخترقة المجال الجوى للقارة القطبية الشمالية (جرينلند) ، وعلى متنها خمسة أفراد ، شملهم الصمت التام ..

كانوا (نور) ، وفريقه المكوّن من زوجته ، والطبيب النفسى (رمزى) ، وعالم الأشعة (محمود) ، وقد انضم إليهم الطبيب الشرعى (محمد حجازى) ..

كان قلب (نور) مفعمًا بالحماس ، بعد أن عاودته الرغبة فى العمل ، أمام ذلك اللغز الجديد ، الذى استثار كوامن عقله ، وأيقظ خلايا مخه ..

أما (رمزى) و (محمود) ، فقد شملهما توتّر عجيب ..

كان كل منهما يتساءل من أعماقه ، عمّا إذا كان بقدرته العمل مرّة أخرى ..

لم يستطع أحدهما رفض مطلب (نور) ، وهو يفيض بكل هذا القدر من الحماس ، والقوة ..



قطع الصمت صوت قائد الحوّامة ، وهو يقول :
ـــ وصلنا إلى منطقة الهدف .. استعدّوا للهبوط ..

ولكنهما ظلا على اضطرابهما وقلقهما ..

الدكتور (حجازى) أيضًا لاذ بالصمت ، كان قد أطلق لحينه ، وفقد ثقته فى قدراته الفذّة ، ومهارته النادرة ، ولكنه أيضًا لم يستطع رفض مطلب (نور) ..

كان ثلاثتهم يشعرون بضرورة مشاركة (نور) ، مهمّته ، بعد أن وقفوا منه ـــ على الرغم منهم ـــ موقف العداء ، وقاتلوه فى شراسة فى مغامرتهم السابقة(*) .

كان مبعث موافقتهم هو الشعور بالذّنب ..

(سلوى) وحدها شاركت زوجها فى حماس ..

كانت عودته للعمل تبث فى عروقها السعادة والأمل ..

لم تكن مجرّد مهمة عاديّة .. أو لغز جديد يواجههم ..

كانت صحوة جديدة للفريق ..

صحوة إما أن توقظه .. أو تحطّم ما تبقّى منه ..

قطع الصمت صوت قائد الحوّامة ، وهو يقول :

ـــ وصلنا إلى منطقة الهدف .. استعدّوا للهبوط .

هبطت الحوّامة فى رفق فوق ثلوج القطب الشمالى ، وسرعان ما هبط منها أفراد الفريق فى ثيابهم الواقية من البرودة ،

(*) راجع قصة (الموت الأزرق) .. المغامرة رقم (٣٦) .

وتطلعوا جميعًا إلى الثلوج الممتدة على مدى البصر ، وسط ظلام تخفىء انكسارات الثلج بعضه ، ثم قال (نور) :

— هنا بالضبط كانت (جليد ١) .

أشارت (سلوى) إلى مبنى أنيق ، يقبع وسط الثلوج ، وتساءلت :

— أليست هذه هى (جليد ١) يا (نور) ؟.. كنت أظنها قد اختفت .

أجابها (نور) فى هدوء :

— لا يا عزيزتى .. هذه (جليد ٢) .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وغمغم :

— (جليد ٢) ؟!.. ماذا يعنى هذا ؟

توسّط (نور) فريقه ، وقال :

— استمعوا إلىّ جيدًا يا رفاق ، إننا نواجه لغزًا غامضًا ، وكارثة قومية أصابت خمسة من أفضل علمائنا ، ولقد حاول قسم الأبحاث فى الإدارة دراسة ما حدث ، واستنتاج تفسير منطقى له ، ولكنه عجز تمامًا ، ولم يعد هناك من وسائل سوى طريقة واحدة ، تنطوى على مخاطرة عنيفة .

دار بعينيه فى وجه رفاقه ، يبحث فيها عن أثر كلماته ، ثم استطرد :

— هذه الوسيلة هى أن يتعرّض فريق جديد للظروف نفسها ، باختصار سنكون نحن الفريق العلمى الجديد فى (جليد ٢) .

ساد صمت مطبق بعد تصريح (نور) ، ثم واصل هو حديثه فى حزم ، قائلًا :

— ربّما أكون قد أخطأت بإخفاء الأمر عنكم منذ البداية ، وربّما تعمّدت أن أطلب منكم مرافقتى فى هذه المهمة ، بأسلوب يوحى بمطالبتكم بتعويض عن مقاتلتكم لى فى المرّة السابقة ، ولكن دافعى لهذا لم يكن سوى رغبتى فى إنهاء حالة اليأس والإحباط ، التى انتابتكم فى الآونة الأخيرة ، ولكننى لن أطالبكم بالتضحية بأرواحكم ، على الرغم منكم .

صمت (نور) مرّة أخرى ، ثم تابع فى صرامة :

— لقد وصلنا إلى منطقة الخطر ، ولكننا لم نبدأ مهمتنا بعد ، والحوّامة لم تغادر المكان حتى هذه اللحظة ، ولكنّها ستغادرنا بعد عشر دقائق بالضبط ، ولن تعود قبل مضى أسبوع كامل ، وعلى كل منكم أن يتخذ قراره فى هذه الدقائق العشر ، فإما أن تعودوا إلى الفريق ، أو تغادروه إلى الأبد .

شعرت (سلوى) بالقلق ، وهى تتأمّل وجوه رفاقها ..

كانت قد اتخذت قرارها منذ زواجها من (نور) ، بأن تتبعه حتى آخر العالم ، ولكنها كانت تخشى قرار الرفاق ..

ساد الصمت طويلاً ، حتى مضى نصف الوقت ، ثم غمغم (محمود) :

ـ لا أعتقد أننى أستطيع الابتعاد عن الفريق .

أسرع (رمزى) يقول :

ـ لقد بدأ الفريق بأربعة أفراد ، وسيظل كذلك ما داموا على قيد الحياة .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال فى طيبة واضحة :

ـ تقصد خمسة يا (رمزى) .

وعادت الحوّامة إلى موقعها ، دون أن تحمل سوى قائدها ..

* * *

انهمك أفراد الفريق فى إعداد أجهزتهم ، وجلس الدكتور (حجازى) و (نور) فى ركن المحطة يتناقشان فى صوت خافت ..

كان الدكتور (حجازى) يقول :

ـ ما تصوُّرك لما حدث يا (نور) ؟

شبّك (نور) أصابع كفيه أمام وجهه ، وعقد حاجبيه وهو يقول فى هدوء :

ـ ليس لدىّ من الأدلة ما يكفى لإصدار قرار ، أو الخروج باستنتاج كافٍ يا سيّدى ، ولكن ....

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا ؟

صمت (نور) لحظة ، ظهر فيها التردُّد على وجهه ، ثم قال :

ـ لقد درست تلك الصور التى التقطتها الأقمار الصناعية فور الحادث ، وقارنتها بتلك التى التقطتها أقمار البعثة السعودية إبّان التحقيق فى الحادث .

مال (نور) نحو الدكتور (حجازى) ، وهو يستطرد فى اهتمام :

ـ كانت الصُّور تبدو متشابهة فى الواقع ، مع وجود اختلاف واضح فى تضاريس المنطقة التى كانت تقوم فوقها (جليد ١) .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وقال فى انفعال واضح :

ـ اختلاف فى التضاريس ؟!.. ماذا يعنى هذا ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

— إنه يعنى ببساطة أن ....

قطع حديثهما فجأة صوت (سلوى) المفعم بالقلق ، وهى تقول :

— أعتقد أنه هناك شىء مايثير القلق يا (نور) .

أسرع (نور) ورفاقه إلى حيث تقف (سلوى) ، وتأملوا المنحنيات التى ارتسمت فوق شاشة جهازها فى اهتمام ، وسألها (نور) :

— ماذا تعنى هذه الرسوم ؟

أجابته (سلوى) :

— هناك عدد من الأشخاص يقتربون من المحطة فى تشكيل منتظم .

غمغم (محمود) فى دهشة :

— عجبًا !!.. إن شاشتى لم تلتقط أى انبعاث حرارى من أجسادهم .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

— هل هذا حتمى ؟

أجابه (محمود) :

— بلا شك .. كل الأجسام الحيّة تنبعث منها حرارة ، حتى الجرذان والحشرات .

سأل (نور) زوجته :

— ألا يحتمل أن ....؟

قاطعته فى إصرار :

— كلَّا .. إننى لن أخطئ فهم ما أراه .

ارتفع فجأة صوت (رمزى) يهتف :

— يا إلهى !!.. هل تشعرون بالحرارة ؟

انتبه الجميع فجأة إلى وجود موجة حارة تلفهم ، وغمغم (نور) فى توتر :

— هل فسدت أجهزة تكييف الهواء ؟

أسرع (محمود) يفحص أجهزة التكييف ، ثم هتف فى جزع :

— جميعها معطلة .

صاحت (سلوى) فى دهشة :

— عجبًا !! هذا يعنى أن تنخفض الحرارة بسبب الثلوج المحيطة ، لا أن ترتفع و ....

بترت عبارتها فجأة ، وهتفت :

— يا إلهى !! الحرارة لا تطاق .. أشعر وكأننى أحترق .

انتقل هذا الشعور إليهم جميعًا ، وترنح (محمود) ، وهو يغمغم فى شحوب :

— لا أستطيع الاحتمال ....

توقفت عبارته فجأة ، عندما سقط فاقد الوعى . فقفز (نور) إلى جهاز الإرسال ، وداعبت أصابعه أزراره لحظة ، ثم توقف فجأة ، وغمغم :

— يا إلهى !! هذا الـ ....

صرخت (سلوى) فجأة :

— النجدة يا (نور) .. إننى أحترق .

تخلى (نور) عن جهاز الإرسال ، وقفز إلى زوجته ، واحتواها بين ذراعيه صائحًا :

— لا أحد منا يحترق يا (سلوى) .. إن ....

قاطعته صرختها مرة أخرى ، وهى تتشبث بذراعه فى قوة ، ثم تهاوت بين ذراعيه فاقدة الوعى ، فصاح فى جزع :

— (سلوى) .. ماذا أصابك ؟

لمح زميله (رمزى) يسقط ، ورأى جسد الدكتور (حجازى) يتوسد أرض المحطة القطبية ، وشعر بحرارة شديدة تلف عقله ..

حاول أن يقاوم هذا الشعور ، ولكنه عجز ، وسقط فجأة كالجثة الهامدة ..

وهناك على بعد آلاف الأميال ، فى المركز الرئيسى بالقاهرة ، هتف مساعد الدكتور (عبد الله) فى جزع ، وذهول :

— يا للهول !!.. لقد اختفت (جليد ٢) أيضًا .. لم يعد لها أثر .

* * *



٤ ـ سيِّد الثلوج ..

امتدّت صحراء الثلج أمام عينى (نور) ..

امتدّت ، وامتدّت بلا نهاية ..

أطنان من الثلج الأبيض فى كل مكان ..

ولكن (نور) لم يشعر بالبرودة ..

كان جسده يشعر بحرارة شديدة ، تصبَّب لها العرق على جبينه ..

تجمّدت حبّات العرق حول رأسه ..

وفجأة .. اندلعت النيران فى الثلج ..

نيران بيضاء ، لها حرارة الجحيم ، ولون الثلج ..

أحاطت به النيران ..

امتدّت ألسنة اللهب على هيئة جماجم بشرية تضحك فى سخرية ..

ثم سقط فجأة بين النيران ..

واستيقظ ..

انتفض جسد (نور) فى قوة ، وتنبَّه فجأة إلى أن كل هذا لا يعدو مجرَّد كابوس بشع ..

حاول أن يفتح عينيه ، ولكنه شعر بإجهاد شديد ، فأبقاهما مغلقتين ..

استيقظ عقله فجأة ، كشف أنه لم يعد يشعر بالحرارة ، فالجوّ من حوله دافئ لذيذ ، يبعث فى نفسه الخدر والراحة ..

أين ذهبت الثلوج ؟.. أين ذهبت تلك الحرارة ؟.. بل أين ذهب رفاقه ؟..

فتح (نور) عينيه فى بطء ، ثم لم تلبث عيناه أن اتسعتا فى دهشة ..

كان يقف أمامه تمامًا ، وعلى بعد متر واحد رجل طويل القامة عريض المنكبين ، لم يتبيَّن (نور) ملامحه بسبب الظلام الذى يسود المكان ، ولكنه نهض دون أن يرفع عينيه عن الرجل ، ووقف قبالته يتأمّله فى صمت ..

أدهشه ذلك الصوت البالغ العمق ، الذى خرج من بين شفتى الرجل ، فى لهجة لم يفهمها (نور) ، وإن بدت له شبيهة بواحدة من اللغات الشرقية القديمة ، وفور انتهاء الرجل من كلماته غير المفهومة بدأت الأضواء تنساب إلى المكان فى هدوء



وبطء ، دون أن يتبيّن (نور) مصدرها ، وبدأت ملامح الرجل تتّضح له شيئًا فشيئًا .

كان وسيم الملامح فى صرامة ، نحيل الوجه ، أشيب الشعر تمامًا ، له حاجبان كثيفان ، وعينان صارمتان يلوح فيهما بريق عجيب مخيف ، وأنف مستقيم يعلو شاربًا ولحية قصيرة ، أحاطا بفمه ذى الشفتين الرفيعتين ..

كان الرجل يحدّق فى عينى (نور) بصرامة مخيفة ، ولاحظ (نور) أنهما يقفان وسط حجرة صغيرة عارية ، إلا من فراش شفاف كان يستلقى هو فوقه منذ لحظات ، فأطلق فى عينيه نظرة صارمة مماثلة ، وقال :

ـ أين أنا ؟.. أين ذهب الرفاق ؟

ظلّ الرجل يحدّق فى وجهه لحظة ، ثم قال فى بطء ، وبصوت بالغ العمق :

ـ أنت الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية .. أليس كذلك ؟

لم تدهش العبارة (نور) ، فمغامرته الأخيرة مع غزاة الأرض الزُّرق ، جعلته أشهر ضابط مخابرات فى القرن الحادى والعشرين ، فقال فى صرامة :

ـ أين ذهب الجميع ؟

ثم تنبّه فجأة إلى أن الرجل قد تحدّث بالعربية ، فهتف فى دهشة :

ـ من أنت ؟

فقدت معالم الرجل جمودها فجأة ، وارتسمت فوق شفتيه ابتسامة عجيبة ، وهو يقول فى برود عميق :

ـ كان ينبغى أن يكون هذا هو سؤالك الأول يافتى .

حاول (نور) أن يتكلّم ، ولكن الرجل استطرد فى هدوء :

ـ لقد أثبتت فحوصى أنك صاحب أرق عقلية وسط أسراى جميعهم ، لذا فقد كنت أتوقّع منك مزيدًا من الذكاء .

تردّدت الكلمات فى عقل (نور) ، (فحوص) .. (أسراى) ، فعاد يسأل الرجل فى قلق :

— إنك لم تجب عن سؤالى بعد .. من أنت ؟

تألق بريق عجيب فى عينى الرجل ، وبدا مظهره غريبًا بزيه الأبيض الناصع ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويقول فى لهجة تقطر فخرًا وغرورًا :

— أنا البروفيسور (زيرو) ، المعروف باسم (سيد الثلوج) .

* * *

دارت (سلوى) بعينيها فى القاعة الواسعة ، التى ضمّتها مع باقى أفراد الفريق — باستثناء (نور) — والعلماء الخمسة الذين فقدوا من قبل فى (جليد ١) ، ثم هتفت فى حنق :

— ماذا يريد منّا هذا المخبول ؟.. ولماذا أصرّ على الاحتفاظ بـ(نور) فى حجرة منفصلة ؟

صاح الدكتور (أحمد) ، أكبر العلماء الخمسة سنًّا :

— لا يمكنك مطلقًا فهم ما يسعى إليه البروفيسور (زيرو) ، إنه مجنون .

نهض الدكتور (محمد حجازى) من مقعده وقال فى هدوء:

— إنه أخطر من ذلك يا صديقى ، أخطر من مجرّد مجنون عادىّ .

سألته (سلوى) فى دهشة :

— هل تعرفه يا دكتور (حجازى) ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى بطء ، فالتفت إليه الجميع فى لهفة ، وقال (رمزى) :

— ماذا تعرف عنه يا سيّدى ؟

ظهر التردُّد على وجه الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم قال :

— ربّما بدت لكم القصة عجيبة ، ولكنها تمثّل كل معلوماتى عن هذا الرجل .

أولاه الجميع انتباههم وهو يستطرد ، قائلاً :

— أنتم تعلمون الكثير بالطبع عن اجتياح الألمان لروسيا فى بداية الحرب العالمية ، ثم اندحارهم أمام ثلوج روسيا الرهيبة ..

صاح الدكتور (أحمد) فى دهشة :

— لقد كان هذا منذ خمسة وسبعين عامًا تقريبًا .

صمت الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم واصل قصّته ، قائلاً :

— كانت ثلوج روسيا فى ذلك الحين هى العقبة الأولى أمام الجيش الألمانى ، الذى لم يكن قد ذاق الهزيمة بعد ، حتى أن أقدام الجنود كانت تتجمّد داخل أحذيتهم ، مما يضطر الباقين إلى بترها إنقاذًا لأرواح زملائهم(*)

(*) حقيقة تاريخية .

قاطعه (رمزى) قائلاً :

ــ ألا تعتقد أنك تبدأ القصة من نقطة بعيدة تماماً يا سيّدى .

لم يبد على الدكتور (حجازى) الاهتمام بمقاطعة (رمزى) ، كل ما فعله هو أن أدار رأسه إليه لحظة ، ثم تابع :

ــ فى ذلك الحين ، قرّر عالم ألمانى شاب يدعى (هانز شتاين) ، أن يمنح وقته وعلمه كله للبحث عن وسيلة تقهر الثلوج ، ولكن هزيمة ألمانيا ، واجتياح الحلفاء لها عام ألف وتسعمائة وخمسة وأربعين ، منعه من مواصلة أبحاثه ، واختفى تماماً من الساحة ، حتى أن الحلفاء بحثوا عنه طويلاً دون فائدة ، إلى أن اضطروا إلى إغلاق ملفه ، وتوقّف العالم منذ ذلك الحين عن الحديث عن تجارب البروفيسير (هانز شتاين) . الذى أطلق على نفسه اسم (زيرو) و ....

قاطعته شهقة دهشة من فم عالم آخر يدعى (طه) ، على حين اندفع الدكتور (أحمد) يقول :

ــ هل تحاول إيهامنا بأن ذلك الرجل هو نفسه (هانز شتاين) ؟.. أنت واهم يا صديقى ، فلو أن (شتاين) بدأ تجاربه وهو فى العشرين من عمره ، لأصبح الآن فى الخامسة

والستين .. وقد رأينا جميعاً البروفيسير (زيرو) ، وهو لا يتجاوز الخمسين بأى حال من الأحوال .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وقال :

ــ هذا صحيح ، ولكنّ هناك شقّ آخر لتجارب البروفيسير (زيرو) ، وهو فى الواقع الجزء ، الذى دفع الحلفاء للبحث عنه .

ظهر القلق على وجوه الجميع ، وغمغمت (سلوى) :

ــ لعلّك لا تعنى ..

قاطعها فى هدوء :

ــ نعم يا عزيزتى ، لقد كان ذلك الشقّ من تجاربه يبحث فى إطالة عمر الشباب بواسطة الثلوج .

* * *



٥ ـ الجيش الأبيض ..

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (نور) ، وهو يواجه البروفيسير (زيرو) قائلًا :

ـ هل تتوقّع أن أصدّق كلمة واحدة من هذا ؟

أجابه (زيرو) فى برود :

ـ صدّق أو لا تصدّق يافتى ، لن يقف هذا فى وجه أحلامى .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، وهو يسأله :

ـ ما أحلامك بالضبط أيها الصفر ؟

بدا الغضب على وجه (زيرو) وهو يردّد :

ـ الصفر ؟!

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

ـ بالطبع .. إنك تدعو نفسك (زيرو) ، وهذه الكلمة تقابل كلمة (صفر) فى لغتنا العربية .

تبادلا نظرات باردة ، ثم قال (زيرو) :

ـ إن أحلامى تفوق ما يمكنك أن تتصوّره يافتى .

ثم أشار إلى ممرّ طويل لم يتبيّنه (نور) فى البداية ، واستطرد :

ـ دعنى أريك جزءًا منها .

قال عبارته وتقدّم فى الممر بخطوات سريعة ثابتة ، وتبعه (نور) فى هدوء ، حتى انتهيا إلى قاعة ضخمة ، لم يكد (نور) يقع بصره عليها ، حتى تراجع فى ذهول ..

كانت مساحة القاعة هائلة بكل ما فى الكلمة من معانٍ ، وقد امتلأت بمئات من الجنود والضباط ، الذين يرتدون ثيابًا تشبه نفس زىّ الجيش الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ، مع اختلاف لونها الأبيض الناصع ..

كان بعض هؤلاء الجنود يؤدّى تدريباته وطوابيره العسكرية ، على حين انهمك البعض الآخر فى إعداد وتنظيف أسلحة ضخمة ، لم يرَ لها (نور) مثيلًا من قبل ، وفى نهاية القاعة امتدّ علم ألمانيا النازية بصليبه المعقوف ..

تخلّى الجنود والضباط عن أعمالهم فور دخول (زيرو) إلى القاعة ، واستداروا جميعًا نحوه ، ثم رفعوا أيديهم إليه فى تبجيل واحترام ، وانطلق من حناجرهم هتاف واحد قوى ، ارتجّ له المكان .. هتفوا باسم (زيرو) ، الذى تألّقت عيناه ، ورفع يده يردّ تحيتهم ، وهو يقول فى فخر فاق الوصف :

— ها هو ذا جيشي يافتى .. هل علمت ما أحلم به ؟..
أحلم بألمانيا جديدة ، تهيمن بسيطرتها على العالم ، وتنطلق من هنا .. من وسط الثلوج .

هتف (نور) فى دهشة :

— ألمانيا جديدة ؟ لا ريب أنك قد جننت ، مازالت ألمانيا باقية ، وشعبها يحيا فى سلام ، ولا يسعى لهذا الدمار الذى تنشده .

استدار إليه (زيرو) فى حدة ، وهتف فى غضب :

— أى سلام هذا ؟.. من الأفضل أن نطلق عليه اسم (الاستسلام) ..

لوّح بكفيه فى عصبية ، صارخا :

— لقد خلقت ألمانيا لتسود العالم أجمع .. لا ليقبع شعبها هكذا خاملا ، ساكنا .

لم يبال (نور) بهذا الجيش الأبيض ، الذى يحدّق فيه فى عدوانية واضحة ، وصاح :

— إنك تتشدّق بمبادئ خرقاء ، نبذها العالم كله مع مطلع القرن الحادى والعشرين .. كل الشعوب سواء ، لا يعلو شعب فوق الآخر درجة واحدة .

صرخ (زيرو) فى غضب :

— خطأ .. خطأ .

وفجأة .. تلاشت حدّته كأن لم تكن ، واستعاد برودة الثلجى ، وأشار إلى جيشه ، قائلا :

— هل ترى هذا الجيش ؟.. إن أصغر أفراده يبلغ المائة على الأقل .. لقد تجاوزت أعمارهم قرنا من الزمان ، وها هم أولاء ينعمون بقوّة الشباب .

غمغم (نور) :

— ماذا يعنى هذا ؟

برقت عينا الرجل ، وهو يقول :

— يعنى أن تجارب البروفيسور (زيرو) قد أثبتت نجاحها ، وأنه قد حان الوقت لتتبوّأ ألمانيا زعامة العالم .

لزم (نور) الصمت ، وهو يتأمّل الرجل فى حيرة .. كان من الواضح أنه أمام مجنون يسعى للسيطرة على العالم ، باسم التعصّب العنصرى .. وكان من الخطر .. كل الخطر .. أن يسمح له بالسعى إلى ذلك ..

كتم (نور) كل هذه الانفعالات فى أعماقه ، وبدا وجهه هادئا وهو يسأل (زيرو) :

ـ ولكن كيف أنشأت هذه القاعدة ؟

لوّح (زيرو) بكفّه ، وقال :

ـ لقد أنشأها الماريشال (جورنغ) ، عام ألف وتسعمائة وأربعة وأربعين ، ولكنها لم تكن بهذا القدر من التطوُّر بالفعل ، ولكننى فرّرت إليها فور سقوط برلين ، وتولّيت قيادة جيشها ، الذى رفض الاستسلام ، وقرّرنا جميعًا أن نواصل العمل ، حتى يتحقّق لنا النصر ، وتعود ألمانيا إلى عظمتها .

تابع (نور) حديث الرجل فى اهتمام ، على حين استطرد هو فى فخر :

ـ كانت العقبة الوحيدة أمامنا هى الزمن ؛ لذا فقد عكفت طيلة ثلاثة أعوام على تطوير تجاربى ، إلى أن توصّلت إلى سرّ الشباب الدائم ، الكامن فى ثنايا الثلوج ، وأصبح الزمن لنا .. إننا لن ننال الخلود بالطبع ، ولكن كل خمس سنوات تمرّ على العالم ، تساوى فى أجسادنا عامًا واحدًا .

غمغم (نور) فى سخرية :

ـ وفى عقولكم أيضًا .

لم ينتبه (زيرو) إلى سخرية (نور) ، فواصل فى هدوء :

ـ لقد صنعنا أسلحة كافية لإغراق العالم فى عصر جليدى

جديد .. سيغوص العالم وسط الثلوج .. ثلوج لا تذوب أو تذوى ، ولن يكون أمام العالم سوى الاعتراف بنبوغ (زيرو) .

ظهرت الشراسة فى عينيه ، وازداد تألّقهما وهو يهتف :

ـ سيركعون أمام (زيرو) ، وسيرجونه أن يتزعّمهم ، وينقذهم من هذه النهاية القاسية .. وهنا تنهض ألمانيا من وسط الثلوج ، ويعود الفوهلر لحكم شعبه(*) .

عقد (نور) حاجبيه ، وقال فى دهشة :

ـ هل تتصوّر أن يعود رجل ميّت لحكم العالم ؟

أطلق (زيرو) ضحكة ساخرة ، امتلأت بالغرور والخيلاء ، ثم أشار إلى حجرة قريبة ، وقال :

ـ اتبعنى يا فتى .

تبعه (نور) إلى الحجرة ، ولم يكد يخطو داخلها حتى تسمّرت أطرافه ، وعجز عن النطق لحظة ، على حين قال (زيرو) فى تبجيل :

ـ يحيا (هتلر) .

(*) الفوهلر – لقب أطلقه الألمان على زعيمهم (أدولف هتلر) فى الحرب العالمية الثانية .

وأمام عينى (نور) ، كان يقف (أدولف هتلر) ، مرتديًا زيه العسكرى الشهير ، داخل مكعب ضخم من الثلوج ، أحاط به من كل جانب .

* * *





كان يقف (أدولف هتلر) ، مرتديًا زيه العسكرى الشهير ، داخل مكعب ضخم من الثلوج أحاط من كل جانب ..

٦ ـ الهجوم ..

شعر (نور) بدوار شديد أمام كل هذا القدر من المفاجآت ، وترنح وهو يحدق في جسد (هتلر) المجمد . على حين قال (زيرو) :

ـ لقد رفض الفوهلر فكرتي في البداية ، ثم رضخ لها مع اجتياح الزحف الروسي لبرلين ، وهنا أسرعنا نفر به متنكرًا ، وقام الباقون بإحراق جثة رجل آخر ، وأعلنوا أنها جثة (هتلر) الذي انتحر فشلًا ، وهنا في المعسكر القطبي ، جمدنا الفوهلر ، حتى يظل جسده سليمًا معافى ، إلى أن ينجح غزو العالم .. وهنا نعيده إلى حالته الأولى ، ويتقدم صفوف الألمان ، ويتبوأ عرش الزعامة من جديد .

صمت (نور) لحظة ، حاول خلالها استيعاب كل هذه المعلومات ، ثم سأل (زيرو) في حدة :

ـ ما صلة كل هذا بالمحطة القطبية ؟ .. ولماذا هي بالذات ؟ .. على الرغم من وجود محطات أخرى لأكثر من دولة في (جرينلند) ؟

ابتسم (زيرو) ، وهو يجيب :

ـ تجاربكم حول إنتاج سحابة كهرومغناطيسية تعوق أجهزتنا يا فتى ، خاصة وأننا قد حددنا موعد بدء الغزو بأول الأسبوع القادم ، لذا كان من المحتم أن تمحى (جليد ١) .. من أجل بقاء الشعب الألماني .

ساد الصمت لحظة ، ثم عاد (زيرو) يستطرد :

ـ كانت فرصة لإجراء أول تجاربنا حول الجليد الساخن .

عقد (نور) حاجبيه مغمغمًا :

ـ الجليد الساخن ؟!

غادر (زيرو) حجرة الفوهلر المجمد ، وسار مرة أخرى إلى حيث جيشه الأبيض ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد أنتجنا جليدًا له درجة حرارة كافية لصهر المعادن ، كان كل ما علينا هو أن نحيط به المحطة و ....

كانا قد أصبحا أمام جيشه تمامًا ، فتوقف (نور) وقال في صرامة :

ـ أنت كاذب يا (زيرو) .

استدار إليه (زيرو) في دهشة ، وهتف في غضب واستنكار :

ـ كاذب ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ نعم كاذب .. سأخبرك أنا كيف هزمتم (جليد ١) .

* * *

ساد الصمت طويلًا ، وكل من (نور) ، و (زيرو) يلتهم الآخر بنظرات قاسية صارمة ، إلى أن قطع (زيرو) الصمت قائلًا :

ــ أتوق إلى سماع كلماتك يا فتى .

ابتسم (نور) ، وقال فى هدوء :

ــ قصة الثلوج الساخنة هذه كاذبة من أصلها ؛ فعندما كنا نشعر بتلك الحرارة الهائلة ، حاولت أنا إرسال إشارة استنجاد ، ففوجئت بأن جهاز الإرسال مازال يحتفظ بحرارته العادية ، وهنا قدّرت أن تلك الحرارة لا تملأ المكان ، ولكننا نشعر بها فقط فى أجسادنا ، وهذا ينفى وجود أى مصدر لحرارة داخلية .

سأله (زيرو) فى اهتمام :

ــ كيف شعرتم بالحرارة إذن ؟

أجابه (نور) فى ثقة :

ــ لقد وجهتم نوعًا من الأشعة إلى أجسادنا ، يعمل على إفساد عمل مركز تنظيم الحرارة بالمخ مؤقتًا ، مما يجعل المعرّض

لهذه الأشعة يشعر بحرارة شديدة ، لا تتواجد إلا فى أعماقه فقط ، وهذه الأشعة ....

قاطعه (زيرو) فى برود :

ــ ليست أشعة ، ولكنها موجات فوق صوتية فائقة التردُّد .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ هذا صحيح ، وهى تبدو كما لو كانت وقع أقدام عشرات الأشخاص وهم يخطون فوق الجليد ، لهذا التقط جهاز (سلوى) الموجات ، على حين لم يلتقط جهاز (محمود) أى انبعاث حرارى ، لأية أجسام حيَّة .

بدا الشغف فى عين (زيرو) ، وهو يسأله :

ــ كيف أخفينا (جليد ١) ؟

مطَّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ كان هذا أمرًا بسيطًا ، حتى أن أحدًا لم يفكر فيه .. لقد دفنتمونا تحت الجليد أولًا ، ربما باستخدام أحد أسلحتكم الجليدية المتطورة هذه ، ثم عمدتم إلى فكها ونقلها بعيدًا ، قبل وصول البعثة السعودية ؛ لهذا بدت تضاريس المنطقة مختلفة فى الحالتين .

تألق بريق الإعجاب فى عينى (زيرو) ، وهتف :

— هذا رائع .. أنت تمتلك عقلية جرمانية رائعة .

ثم مال نحو (نور) ، وسأله فى اهتمام :

— هل هناك أصول ألمانية فى عائلتك ؟

أجابه (نور) فى فخر :

— بل كل قطرة فى دمى تحمل البعث العربى يا (زيرو) .. إننى سليل تلك الحضارة ، التى أضاءت العالم كله ، وقت أن كانت حضارتكم الجرمانية بربرية همجية ، تزحف على أربع فى كهوف مظلمة .. أنا عربى يا (زيرو) .

ظهر الغضب على وجه (زيرو) لحظة ، ثم اختفى بسرعة وهو يقول :

— استنتاجك صحيح يا فتى ، ولكن ألم تسأل نفسك لِمَ اخترتك من بين رفاقك كلهم ، لأخبرك بكل شىء عنا ؟

سأله (نور) :

— لِمَ ؟

هتف (زيرو) فى أسلوب أقرب إلى المسرحية :

— لأن الشعب الألمانى يقدّم دائمًا العبقريات أيها الرائد ، وأنا أريد منك قائدًا لجيش ألمانيا ، وسيكافئك (الفوهلر) بسخاء بعد أن نحرز النصر و ....

قاطعه (نور) فى برود :

— أعتقد أنه من الأفضل التوقُّف عن خدعة (الفوهلر) هذه .

هتف (زيرو) فى دهشة :

— ماذا ؟!

أجابه (نور) فى برود :

— أقول إن (هتلر) قد انتهى منذ زمن طويل ، ولن يعود إلى الحياة أبدًا .

* * *

ظلّ (زيرو) دقيقة كاملة يحدّق فى وجه (نور) فى ذهول ، ثم صرخ فى غضب :

— ماذا يعنى قولك هذا ؟

بدا (نور) أشدّ برودة من الثلج ، وهو يقول :

— أنت تسعى للزعامة يا (زيرو) .. بل أنت فى الواقع مجنون زعامة ، ورجل مثلك يتصوَّر نفسه أذكى أذكياء الأرض ، لا يسعى طوال خمسة وسبعين عامًا للنصر ، ثم يسلّم هذا النصر صاغرًا إلى رجل آخر ، حتى ولو كان (الفوهلر) نفسه .

هتف (زيرو) ، وهو يشير إلى الحجرة المجمّدة :

— ومن يكون هذا الذى رأيته بحقّ الشيطان ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ إنه (أدولف هتلر) بشحمه ولحمه ، ولكن دون روحه .

اتسعت عينا (زيرو) ، على حين تابع (نور) :

ـ عندما شارفت ألمانيا الهزيمة ، فقدت أنت ولاءك لـ (الفوهلر) وتصوّرت نفسك الرجل الوحيد القادر على تحويل الهزيمة إلى نصر ، ولكنك كنت تعلم أن جيش ألمانيا لن يدين بالولاء إلا للرجل الذى يتزعّمه ؛ لذا فقد وضعت هذه الخُطّة الجهنمية .. لقد أقنعت (هتلر) بالفرار ، وأتيت به إلى هنا ، وجعلته يواجه ذلك الجيش الأبيض ، ويضمن لك ولاءه ، ثم أقنعته بفكرة تجميده فى حالة موت مؤقت ، حتى يعود شابًا معاك بعد النصر ، ورضخ هو لفكرتك ، وهو يتصوّر نفسه يعود قائدًا منتصرًا ، ولم يكن يدرى أنه سيلقى حتفه فور تجمُّده .

لوّح (زيرو) بكفّيه صائحًا :

ـ خطأ .. خطأ .

ولكن (نور) واصل حديثه ، قائلًا :

ـ وهكذا كافح الجيش الأبيض طوال خمسة وسبعين عامًا ، من أجل الرجل الذى يقوده ، ولكنك حوّلت ولاءهم ،

أو جزءًا منه إليك ، وستنتظر حتى يتحقّق لك النصر ، ثم تتظاهر بمحاولة إعادة الحياة إلى (الفوهلر) .. وعندما تفشل ستتظاهر بالجزع والانهيار ، ولن يكون أمام جيشك سوى اختيارك لتخلف الزعيم الراحل .. إنها خطّة شيطانية ولا شك .

ساد صمت ثقيل بعد أن انتهى (نور) من حديثه ، ثم قال (زيرو) بصوته العميق البارد :

ـ أنا وأنت وحدنا نعرف هذا يا فتى ، ولقد اعتدت ألا يشاركنى أحدًا فى أسرارى .

ثم رفع كفّه ، وتحوّل صوته إلى الشراسة وهو يستطرد :

ـ لقد حكمت على نفسك بالموت أيها الرائد .

* * *



٧ — الهارب ..

لا أحد يمكنه أن يتصوّر ما فعله (نور) عند سماعه عبارة (زيرو) الأخيرة ..

لقد تحرّك فجأة ، وفى سرعة خاطفة ، فقفز خلف (زيرو) ، وأحاط رقبة هذا الأخير بذراعه ، وقال فى صرامة :

— لقد انتهت أحلام الزعامة أيها الصغير .

أمام جيشه الأبيض كله ، فعل (نور) هذا ، وتحرّك الجيش فى ضجّة عظيمة ، للدفاع عن قائده ، ولكن (نور) صاح فى أذن (زيرو) :

— مُرْ رجالك بالتوقّف ، وإلا حطّمت عنقك .

أشار (زيرو) لرجاله أن يتوقّفوا ، فأطاعوا والغضب يتفجر من عيونهم ، وقال (زيرو) فى صوت مختنق :

— عبثًا ما تفعل أيها الرائد .. لن يمكنك الهرب .

تجاهل (نور) تهديد (زيرو) ، وسأله وهو يشدّد ضغط ذراعه على عنقه .

— ماذا فعلت بالباقين ؟

تحشرج صوت (زيرو) ، وهو يقول :

— جميعهم بخير .. أقسم لك .

وفجأة .. شعر (نور) بفوّهة باردة تلتصق بجانبه ، وسمع صوتًا متعجرفًا يتحدّث بالألمانية ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى كثير من الذكاء ، ليفهم (نور) معنى التهديد الألمانى ..

كان يعلم أن هذا الرجل سيقتله ..

* * *

لو أن أحد رفاق (نور) رآه فى تلك اللحظة ، ما تصوّر أنه نفس الشاب ، الذى كاد يعتزل عمله يأسًا ، منذ أيام قلائل .

لقد ترك عنق (زيرو) ، وقفز جانبًا فى مهارة ، مبتعدًا عن الفوّهة القاتلة ، ثم دار على عقبيه ، ولكمَ الجندى الذى يهدّده لكمة أطاحت به بعيدًا ، وفى لمح البصر كان (نور) قد التقط سلاح الجندى ، وصوّبه إلى (زيرو) ، ولكن هذا الأخير قفز وسط رجاله وهو يصرخ بالألمانية :

— اقتلوه .. لا تتركوه حيًّا ..

تخيّل لـ (نور) أن القاعة قد ضجّت فجأة بهدير يفوق شلالات نياجرا ، عندما اندفع الجيش الأبيض كله نحوه ..

لم يكن باستطاعته مواجهة جيش بأكمله .. ولم يكن يدرى بعد كيف يستخدم هذا السلاح العجيب الذى يمسك به .. ولكن عقله لم يتوقّف عن العمل ..

استدار فى سرعة ، واندفع كالصاروخ إلى الحجرة التى تضمّ جسد الزعيم النازى المجمّد وسط الثلوج ، وحينما لحق به أول أفراد الجيش الأبيض ، كان يصوّب سلاحه إلى المكعب الثلجى ، الذى يضمّ جسد (هتلر) ، وصاح فى صرامة :

ـ سأحطّمه لو تقدّم أحدكم خطوة واحدة .

لم يكن باستطاعتهم فهم لغته العربية ، ولكن الموقف كان أوضح من أن يقال .. وتردّد الجنود .. لم يكن من السهل عليهم المخاطرة بالرمز ، الذى عاشوا من أجله طوال خمسة وسبعين عامًا أو يزيد ..

(زيرو) وحده كان يعلم عدم جدوى خطّة (نور) ، ولكنه لم يكن يجرؤ على الكلام ..

كان (نور) يعلم أن خطّته لن تستغرق طويلًا ، فهو لن يقضى عمره كله أمام هذا التابوت الثلجى ، لذا فقد دار بعينيه فى المكان ، وتنهّد فى ارتياح حينما لمح مخرجًا آخر فى ركن الحجرة ..

لم يكن يعلم إلى أين يقوده هذا المخرج ، ولكنه كان المخرج الوحيد ..

تراجع فى بطء وهدوء ، وهو ما يزال يصوّب سلاحه إلى المكعب الثلجى ، ودون أن يرفع عينيه عن الجنود ، حتى أصبح على بعد سنتيمترات قليلة من المخرج ..

وفجأة .. تعثّر فى بروز صغير لم يتبيّنه فى البداية ..

تعثّر ، وسقط تاركًا ذلك السلاح العجيب ..

ولم يكد يسقط ، حتى ارتفعت فوّهات أسلحة الجنود نحوه ، واندلع الموت من تلك الفوّهات القاتلة .

* * *

جاءت قفزة (نور) متوافقة تمامًا مع تلك الإشعاعات الزرقاء ، التى خرجت من فوّهات الأسلحة ، فارتطمت الأشعة بالأرض بعد أن قفز مبتعدًا بجزء من الثانية ، وقبل أن يطلق جنود الجيش الأبيض أسلحتهم مرة أخرى ، اندفع (نور) كالصاروخ يعبُر المخرج ..

وجد (نور) نفسه يعدو فى ممرّ طويل للغاية ، تتفرّع منه ممرّات لا حصر لها ، وسمع صوت أقدام الجنود البيض وهم يعدون خلفه ، فقفز فى أول ممر فرعى إلى يمينه ، وأدهشه أنه

أيضًا يضم عددًا من الممرات الجانبية ، ولم يكن أمامه سوى اختيار أحدها عشوائيًا ..

كان المكان الذى يعدو فيه (نور) عجيبًا ؛ فهو يشبه شبكات العنكبوت ، أو ذلك التيه الذى يجرى فيه العلماء اختبارات الذكاء للفئران ، وكان هو يعدو بلا هدف ..

كل ما سيطر على عقله هو الهرب ..

الهرب فقط ..

وفى حجرة (الفوهلر) صرخ (زيرو) :

ـ لا تسمحوا له بالفرار .. مصير ألمانيا الجديدة يتوقف على قتله .

تردد أحد الجنود لحظة ، ثم أجابه :

ـ لقد انطلق داخل (تيه الذكاء) يا مارشال .. ومن العسير أن نعثر عليه .

توقف (زيرو) عن الصياح فجأة ، وعقد حاجبيه وهو يفكر فى كلمات الجندى ، ثم عادت عيناه تتألقان فى صرامة ، وهو يقول :

ـ مُر الرجال إذن بالتوقف عن المطاردة .. سأجبره على العودة .

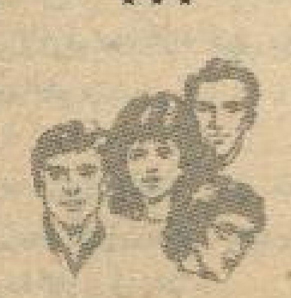
ثم استطرد فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ كل ما نجح فيه هذا المتبجح ، هو أن دفعنى لبدء المعركة مبكرًا .

ورفع كفه متابعًا فى لهجة قوية النبرات ، عميقة الصوت :

ـ فليذهب كل منكم إلى موقعه يا أبناء النازية الجديدة .. ستنهض ألمانيا بعد خمس ساعات من الآن .

* * *



٨ ـ الرهائن ..

التفتت عيون أفراد الفريق والعلماء الخمسة إلى (زيرو) ، الذى اقتحم حجرتهم محاطًا بخمسة من الجنود الأشداء ، وسأله الدكتور (حجازى) فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـ عجبًا !!.. هل أتيت لتحيتنا يا بروفيسير ؟

رفع (زيرو) ذراعه فى وجه الدكتور (حجازى) بغضب ، وقال :

ـ كُفَّ عن سخريتك أيها الطبيب الشرعى ، لقد فرَّ زميلكم ، ولن أسمح له بالهرب .

تألق بريق الأمل فى عيون أفراد الفريق ، وتهللت (سلوى) فى ارتياح وهى تقول :

ـ حمدًا لله .

احتقن وجه (زيرو) غضبًا ، وقال :

ـ إنه لن يبتعد كثيرًا يا سيدتى .. إنه يرتدى ثيابًا خفيفة ، لن تحتمل برودة الثلوج فى الخارج .



قال (رمزى) فى تحدٍّ :

ـ هل تراهن ؟

وغمغم (محمود) فى جرأة :

ـ أنت لا تعرف (نور) يا بروفيسير (زيرو) .

نمَّ احتقان وجه (زيرو) عن الغضب ، فى حين ظلَّ صوته هادئًا ، وهو يقول :

ـ بل أعرفه جيدًا يا فتى ، لقد فحصت عقله بأجهزتى المتطورة فى أثناء غيبوبته ، وأعلم جيدًا كيف يفكر ، وسأعطيكم الدليل .

ثم تناول من حزامه مكعبًا شفافًا صغيرًا ، أدناه من فمه ، وقال فى صرامة ، ودون أن يرفع عينيه عنهم :

ـــ نداء إلى الرائد (نور) .. هنا البروفيسير (زيرو) .. إننى آمرك بالعودة والاستسلام .. وسأمهلك ساعة واحدة ، سأقتل بعدها ثلاثة من الأسرى هنا ، وسأكرّر ذلك كل نصف ساعة .

شحبت وجوه الجميع ، على حين أعاد (زيرو) المكعّب إلى حزامه ، وقال فى صرامة :

ـــ وأنا أعنى ذلك أيها السادة .

* * *

وقف (نور) يتأمّل فى دهشة ذلك التيه ، الذى ابتلعه ، والذى يشبه تلك الألعاب التى تمتلئ بها صفحات الصحف ، وحاول أن يبحث عن سبب منطقى لإقامة مثل هذا التيه فى وكر ذلك النازى المجنون ، الذى أضاع عمره من أجل هدف عجيب أخرق ..

وفجأة .. انبعث تهديد (زيرو) عبر مجموعة من مكبرات الصوت ، فى جميع أنحاء التيه ، وامتلأ قلب (نور) بالغضب وهو يستمع إلى التهديد ، وأنبأته خبرته أن مجنون عظمة مثل

(زيرو) ، لن يتورّع عن قتل رهائنه بالفعل من أجل النصر ..

شعر (نور) بالغضب يملأ أعماقه ، ويشعل نار الإصرار فى قلبه .. كان يعلم أنه لن يستسلم ، فلن يضحّى بالعالم كله من أجل رفاقه ، ولكنه لن يضحّى بهم أيضًا ..

كان عليه أن يعمل عقله فى قوّة بحثًا عن وسيلة لتحقيق الهدفين معًا .. إنقاذ رفاقه ، وتجنيب العالم كله ويلات حرب يشنّها عالم مجنون ..

كان من الواضح أن ثيابه الزاهية تفضحه تمامًا ، وسط جيش ناصع البياض ..

كان عليه إذن أن يحصل أولًا على زىّ من أزياء ذلك الجيش النازى الجديد ..

عليه إذن أن يعود .. ولتبدأ معركته من حجرة (الفوهلر) المجمّدة ..

ولم يتردّد (نور) طويلًا .. اتخذ طريق العودة وهو يحصر ذهنه ، ليتذكّر كل ممرّ اتخذه ..

كان عليه أن يتحدّى التيه ، ويتحدّى الجيش النازى الجديد ..

مرّة أخرى .. من أجل العالم كله يسعى الرائد (نور) ..

* * *

وسط صمت ثقيل ساد حجرة الأسرى ، رفع البروفيسر (زيرو) ساعته إلى عينيه ، وقال فى برود :

ــ انتهت المهلة للأسف أيها السادة ، ولابدّ من قتل ثلاثة منكم .

صرخ الدكتور (طه) فى رعب :

ــ كلّا .. إنك لن تقتلنا .. إننا لن نخطئ ، ولم لن نحاول الهرب .

مطّ (زيرو) شفتيه ، وقال :

ــ يؤسفنى أن اضطرّ يا سيّدى .

استدار أفراد الفريق بعضهم إلى بعض ، والتقت نظراتهم فى شجاعة وبأس ..

التقت أفكارهم ، وعزائمهم عند نقطة واحدة ..

مادام الموت آت ، فليقضوا كالأبطال ..

من أجل مصر .. ومن أجل العالم ..

وفجأة .. اندفع أفراد فريق (نور) حتى (سلوى) نحو (زيرو) ، ورجاله الخمسة ..

تراجع (زيرو) أمام تلك المفاجأة .. لم يكن يتصوّر أن ينقض عليه أفراد الفريق بهذه الشجاعة ..

لم يتصوّر أن يواجهوا أسلحة رجاله بصدور عارية ..

نسى أنهم مصريون ، وأن عروقهم تنبض بالدم العربى الشجاع ..

كانت المفاجأة قاسية ، ولكن فارق القوة كان واضحًا ..

أطاح (رمزى) بسلاح أحد الرجال الخمسة فى قوة ، ثم لكم الرجل على نحو ألقاه بعيدًا ، وانقضّ الدكتور (حجازى) على (زيرو) ، وأحاط وسطه بساعديه ، وسقط الاثنان أرضًا ، أما (محمود) و (سلوى) فقد عجزا عن قتال الرجال الأربعة الآخرين ، ولم تلبث (سلوى) أن وجدت نفسها بين ذراعى أحدهم القويتين ، ووجد (محمود) نفسه ملقى أرضًا إثر لكمة من آخر ..

لم ينجح الهجوم للأسف ، ولكنه أثبت بسالة أبطالنا ، واضطرّ الدكتور (حجازى) إلى التخلّى عن (زيرو) ، بعد أن رأى فوهة أحد الأسلحة مصوّبة إلى رأسه ..

انتهت المعركة القصيرة بهزيمة أبطالنا للأسف ، ولم يعد هناك مفرّ من الموت ، ولكن (زيرو) نهض ينفض الغبار عن ثوبه الأبيض فى هدوء ، ثم أطلق ضحكة عالية ، وقال :

— يالشجاعتكم يا رجال المخابرات العلمية !!

عاد يطلق ضحكته العجيبة ، ثم استطرد :

— وأنا أكره قتل الشجعان .

ثم أشار إلى ثلاثة من العلماء ، وقال لرجاله :

— ها هم أولاء ضحايانا يا رجال .

أطلقت (سلوى) صرخة مدوّية ، تفيض رعبًا واستنكارًا ، عندما انطلقت أشعة الموت تحصد الرجال الثلاثة ، فى حين ارتجّ المكان بضحكات الشيطان فى قلب الجحيم الثلجى .

* * *



٩ — الشيطان الأبيض ..

وقف جنديّان من جنود الجيش الأبيض ، يختلسان النظر إلى جسد (الفوهلر) المجمّد ، وينقلان بصرهما بين الحين والآخر إلى الممر الطويل ، الذى اختفى فيه (نور) ، ثم قال أحدهم فى صوت يوحى بالرهبة :

— هل تظنه سيعود يومًا إلى الحياة يا (رودلف) ؟

أجابه زميله (رودلف) فى احترام :

— إننا نعيش من أجل هذا الأمل وحده يا زميلى .

عاد الرجل الأول يهز رأسه ، مغمغمًا :

— نعم .. نعيش من أجله .

وفجأة .. تناهى إلى مسامعهما أصوات أقدام تعدو فى الممر الطويل ، فاستدارا فى سرعة ، وشهرا سلاحيهما ، ولكن قبضة (نور) أصابت فك أولهما فى لكمة مباغتة ، ثم قفزت راحته اليسرى تطيح بسلاح الثانى ، وقبل أن يصرخ الرجل منذرًا ، حطّمت قبضة (نور) اليمنى أنفه ، فسقط إلى جوار زميله فاقد الوعى ..

تصلّب (نور) لحظة ، وأرهف سمعه ، ليتأكد من أن أحدًا
لم ينتبه إلى تلك المعركة القصيرة ، وعندما تأكّد من ذلك ،
أسرع يجذب الجنديين إلى الممرّ ، واختار أقربهما جسدًا إليه ،
فنزع ثيابه ، وارتداها ، ثم تناول ذلك السلاح العجيب ، وأخذ
يفحصه لأول مرّة ..

كان السلاح عبارة عن أنبوب معدنى أبيض ، يتوسّطه شكل
كروى بلّورى ، يمتلئ بغاز له لون سماوى باهت ، وينتهى الأنبوب
بمقبض عريض أزرق اللون ..

لم يفهم (نور) فى البداية كيف يطلق الأشعة من ذلك
السلاح ، ولكنه لم يلبث أن تبيّن أن ذلك المقبض الأزرق يدور
حول نفسه نصف دورة ، فتنطلق الأشعة القاتلة ..

كان ذلك يكفى (نور) لينطلق ..

ثبّت قبعته التى تحمل شارة النازية فوق رأسه ، وحمل
سلاحه ، ثم سار فى هدوء إلى خارج حجرة (الفوهلر) ..

لم ينتبه إليه أحد وسط هذا الخضم من الجنود ، ولكنه كان
يعانى مشكلة أخرى ..

لم يكن يدرى أين يذهب وسط القاعدة ، ولم يعد أمامه
سوى السير بلا هدى ، وهو يدعو الله ـ عزّ وجلّ ـ أن يوفّقه
إلى المكان المنشود ..

لم يعد أمامه سوى الحظ .. والحظ فقط ..

* * *

انخرطت (سلوى) فى بكاء عنيف ، بعد أن رأت تلك
المذبحة التى قام بها (زيرو) دون أن يطرف له رمش ، وقلّب
الدكتور (حجازى) شفتيه فى اشمئزاز ، وقال مخاطبًا
(زيرو) :

ـ هل تشعر بالبطولة بعد أن قتلت ثلاثة من الأبرياء العُزّل ؟

لوّح (زيرو) بكفّه فى لامبالاة ، وقال فى برود :

ـ كل شىء يهون من أجل ألمانيا الجديدة .

صرخ الدكتور (حجازى) فى وجهه فجأة :

ـ بل من أجل أطماعك المغرورة ، وساديتك المجنونة .

اشتعل الغضب فى ملامح (زيرو) ، ودفع الدكتور
(حجازى) فى صدره بسبّابته ، وقال :

ـ احترس أيها الطبيب الشرعى ، وإلا أمرت رجالى بقطع
لسانك .

صرخت (سلوى) فى غضب :

ـ سيمزّقك زوجى إربًا لو حاولت .

قال (رمزى) فى صرامة :

ـــ لن يحتاج الأمر إلى (نور) يا (سلوى) ، سأمزقه أنا ، حتى ولو كان هذا آخر عمل فى حياتى .

عقد (زيرو) حاجبيه ، وغمغم :

ـــ زوجها ؟! .. أهى زوجة ذلك الرائد ؟

ثم تألق بريق شرس فى عينيه فجأة ، وهتف :

ـــ شكرًا لك أيها الطبيب النفسى ، لقد منحتنى الوسيلة الوحيدة لإجبار هذا الرائد على الاستسلام .

* * *

انتقل (نور) طويلًا بين أرجاء القاعدة ، وتفقد عشرات القاعات ، دون أن يصل إلى المكان الذى يختبئ فيه (زيرو) ..

لم ينتبه إليه أحد وهو يرتدى زىّ الجنود المميّز ..

وأخيرًا وجد نفسه أمام حجرة الإرسال ..

لم يكن يستطيع قراءة الكلمات الألمانية المدوّنة على بابها ، ولكنه لم يخطئ معرفة أجهزة الإرسال ، وكاميرات الفيديو ..

كان من الواضح أن أجهزة الإرسال فى القاعدة ، قد أُعدّت لنقل صورة (زيرو) المنتصر ، إلى كل بلدان العالم ، وقتما ينجح فى السيطرة على الأرض ..

وكان هناك حارسان فقط فى الحجرة ..

تقدم (نور) فى هدوء إلى الحجرة ، واستدار إليه الحارسان فى غضب ، ولوّح أحدهما بذراعه وهو يصرخ ببعض الكلمات الألمانية فى غضب .. وكان من الواضح أنه يحاول إفهام (نور) أن دخوله هنا ممنوع ، ولكن (نور) تقدّم إلى الرجلين .

وفجأة .. طوّح بسلاحه فى وجه أحدهما ، ثم انطلقت قبضته فى وجه الآخر ..

هو نفسه أصيب بالدهشة حينما فقدا وعيهما ..

أدهشه أن يقدم هو على كل هذا القدر من العنف ، على الرغم من كراهيته له ..

ولكنه نفض الفكرة عن عقله بسرعة ، واستدار يغلق الباب ، ثم التفت إلى جهاز الإرسال ..

داعبت أصابعه أزرار الجهاز فى مهارة وخبرة ، ولم يمض وقت طويل قبل أن يقول :

ـــ من بعثة (جليد ٢) إلى المركز الرئيسى .. هنا الرائد (نور) .. أجب .

كاد يقفز فرحًا ، عندما جاءه صوت يفيض باللهفة :

ـــ حمدًا لله .. حمدًا لله .. أين أنتم يا (نور) ؟.. ماذا أصابكم ؟.. وكيف حال الفريق ؟

أجاب (نور) فى سرعة :

ـــ لست أدرى أين نحن بالضبط ، ولكن هذا لا يهم الآن .. أعيرونى أسماعكم .. فلدىّ قصّة ستصيبكم بالذهول .

أسرع (نور) يقصّ عليهم تفاصيل قصة (زيرو) ، دون أن يقاطعه أى منهم بحرف واحد ، وإن انبعثت بين حين وآخر شهقات تنمّ عن دهشة واستنكار ، فلمّا انتهى هتف الدكتور (عبد الله) :

ـــ يا إلهى !! هذا أعجب ما سمعت فى حياتى كلها .. حدّد موقعك إذن ، وستهاجم قواتنا وكر هذا الرجل الشيطانى .

أجابه (نور) .

ـــ لا يمكننى تحديد الموقع بالضبط ، فأنا لم أعلم بعد ما إذا كنّا أسفل الجليد ، أم فى مكان ما فوقه .. ولكننى سأترك هذا الجهاز مفتوحًا ، وعليكم تعقُّب إشاراته إلى هنا ، و ....

بتر عبارته فجأة ، عندما تصاعد صوت (زيرو) عَبْر أجهزة الصوت ، يقول باللغة العربية :

ـــ إلى الرائد (نور) .. كشفنا هروبك من تيه الذكاء ، ولكننى أنذرك بالتسليم خلال خمس دقائق فقط ، بعدها سأعدم زوجتك الشابة .. هل تسمعنى ؟.. سأعدم زوجتك .

* * *

١٠ ـــ الجليد المشتعل ..

تفجّر غضب هائل فى أعماق (نور) عندما صكّت مسامعه عبارة (زيرو) ، فنهض كالأسد الثائر وهو يهتف :

ـــ ويل لك منّى إن فعلت أيها الحقير !!

ارتفعت درجة غضبه حتى كاد يحطّم باب حجرة الإرسال ، وهو يختطف ذلك السلاح العجيب ، ويندفع خارجها ..

خُيّل إليه أن الثوانى تمرّ فى سرعة كبيرة ، وهو يتحرّك فى ممرٍّ يبدأ عند حجرة الإرسال ..

كان عليه أن يعثر على زوجته فى خلال هذه الدقائق الخمس ..

امتزج الغضب بالجزع فى أعماقه ، وسال فى شكل دموع أغرقت وجنتيه ، وهو يتحرّك فى سرعة عجيبة ، متحاشيًا أن يعلوَ ، حتى لا يلفت أنظار جنود الجيش الأبيض الذى يبحث عنه ، كما يبحث الوحش الجائع عن فريسته ..

وفجأة .. سمع صوتًا يصيح من خلفه ، فاستدار فى حدّة ، ليرى ثلاثة من جنود الجيش الأبيض يهرعون إليه ، والغضب يتفجّر من عيونهم ..

لم يعد هناك من مفرّ ..
لابدّ أن يتخلّى (نور) عن كراهيته للدمار ..
لابدّ أن يقاتل ويقتل من أجل حياته ..
من أجل زوجته ..
من أجل وطنه ..
من أجل العالم أجمع ..

ارتفع سلاح (نور) فى وجوه الرجال الثلاثة ، وارتفعت أسلحتهم إليه ، وانطلقت أشعة الموت من كل صوب ..

* * *

ارتجف جسد (سلوى) وهى ترقب ساعتها ، وقد اقترب الموعد الذى حدّده (زيرو) ، الذى قال فى برود :

ـ عشر ثوان فقط ، وتنتهى المهلة يا سيّدتى .

هتف (محمود) فى غضب :

ـ أنذرك أننا لن نرحمك لو مسستها بسوء يا (زيرو) .

أطلق (زيرو) ضحكة ساخرة طويلة ، وقال :

ـ لن ترحمنى ؟!.. يالك من مكابر أيها المصرى !! من يسمعك تتحدّث هكذا يتصوّر أنك أنت الذى تمسك بالسلاح لا أنا .

ثم أردف فى برود :

ـ لقد انتهت المهلة ، وداعًا يا سيّدتى .

قفز (رمزى) والدكتور (حجازى) يحمون (سلوى) بجسديهما ، وقال الدكتور (حجازى) وهو ينتفض غضبًا :

ـ أى حقارة هذه ، التى تتبعها يا (زيرو) ؟.. منذ متى تقتل النساء فى الحروب ؟

أجابه (زيرو) فى برود :

ـ لا مجال للقيم فى تاريخ دولة عظمى كألمانيا الجديدة .

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ تبًّا لدولة ترتوى من دماء النساء الأبرياء .. لقد أقام العرب أعظم حضارة فى التاريخ ، دون أن يريقوا قطرة واحدة من دم امرأة أو طفل أو شيخ .

ابتسم (زيرو) فى سخرية ، وقال :

ـ لن أقضى وقتى فى مناقشات سخيفة أيها الطبيب الشرعى .

صاح (رمزى) :

ـ ونحن لن نسمح لك بمسّ شعرة واحدة من رأس (سلوى) ، وفى صدورنا نفس يتردّد .

مطّ (زيرو) شفتيه ، وقال :

— فليكن .
ثم أشار إلى رجاله ، وقال :
— اقتلوهم جميعًا يا رجال الجيش الأبيض .

* * *

ضجّة كبرى أعقبت هذا القول .. ضجّة تصوّرت (سلوى) أنها نفير الانتقال إلى العالم الآخر ، فأغمضت عينيها ، وتشهّدت على روحها وأرواح رفاقها ..

ولكن شهقة دهشة وارتياح من أفواه رفاقها ، جعلتها تفتح عينيها فى سرعة ، ولم تكد تفعل ، حتى أطلقت بدورها شهقة مماثلة ..

رأت (نور) أمامها كالليث ، وقد اقتحم الحجرة ، وأطلق أشعة سلاحه على رجال (زيرو) الخمسة ..

رأت (زيرو) يتراجع فى فزع ، واثنان من رجاله يسقطان صرعى ، ورأت (نور) يتفادى أشعة الثلاثة الآخرين ، ويطلق أشعته نحوهم ..

لم يقف أفراد الفريق موقف المشاهدين من هذا الصراع ..

انقضّوا مع العالمين الباقين على الرجال الثلاثة وزعيمهم ..

الدكتور (حجازى) كال لكمتين قويتين ، ملؤهما الغضب والكراهية إلى فك (زيرو) ، و (رمزى) صرع أحد الرجال

الثلاثة بلكمة فى مؤخرة عنقه ، و (محمود) تعلّق بعنق رجل ثالث ، على حين وقفت (سلوى) ذاهلة ، واشترك العالمان ، الدكتور (أحمد) والدكتور (طه) فى صرع الرجل الثالث والأخير ..

التقى الرفاق أخيرًا ، وألقت (سلوى) جسدها الضئيل بين ذراعى زوجها وهى تبكى ، صائحة :

— حمدًا لله يا (نور) ، خشيت ألا نلتقى .

ربّت (نور) على رأسها فى حنان ، ثم استدار إلى رفاقه قائلاً :

— لم ينته الأمر بعد يا رفاق ، لقد اشتركت فى قتال عنيف مع جيش (زيرو) ، واضطررت لقتل ثلاثة رجال منه ، وطاردنى العديد منهم إلى هنا ، ولولا أن سمعت صيحة الدكتور (حجازى) الغاضبة ما توصّلت إليكم ..

سأله (محمود) فى قلق :

— أين مطاردوك إذن ؟

أجابه (نور) فى سرعة :

— هذه القاعة لها باب مزدوج يا صديقى ، ولا ريب أنهم يحاولون تحطيم الباب الخارجى الآن ، ولكنهم يترتّبون ؛ لأنهم يعلمون أن قائدهم أسيرنا الآن .

سـأله (رمزى) :

ــ وماذا علينا أن نفعل ؟

أشار (نور) إلى أسلحة الرجال الخمسة ، وقال :

ــ سنقاتل يا (رمزى) .. سنقاتل حتى آخر قطرة من دمائنا ، وسنثبت لهؤلاء الغازين الجدد ، أن الدم العربى لا يراق رخيصًا .

انحنى أفراد الفريق يلتقط كل منهم سلاحًا ، وشرح لهم (نور) كيفية استخدامه فى كلمات موجزة ، ولم يكد ينتهى ، حتى تحطَّم الباب ، واندفع رجال الجيش الأبيض إلى القاعة .. واشتعل الجليد ..





١١ ــ حتى الموت ..

لم تشهد حياة (نور) ورفاقه صراعًا أشد هولًا من هذا .. كانت دفقات الأشعة تترامى فى كل مكان بالقاعة ..

عشرات من الخيوط الضوئية القاتلة أضاءت المكان ..

شعر (نور) بدفقة قوية تخترق ذراعه ، وسقط (محمود) مع أخرى اخترقت صدره ، على بعد سنتيمترات قليلة من قلبه ، ولم تعد ساقا (رمزى) تحملانه بعد أن مزقتهما الأشعة .. ولكنه واصل إطلاق أشعته فى بسالة نادرة ، قلَّ أن يستحوذ عليها طبيب نفسى لم يحترف القتال يومًا ..

استشهد العالم المصرى الدكتور (طه) ، وأصيب الدكتور (أحمد) فى معدته ، ولم يعد يستطيع القتال ..

عشرات من الجيش الأبيض سقطوا بالمقابل ..

أريقت الدماء كالأنهار ..

وفجأة .. اختطفت (سلوى) سلاح الدكتور (طه) ، وصوَّبته إلى رأس (زيرو) ، الذى استعاد وعيه لتوِّه ، وصرخت :

— توقفوا أو أقتله .

أوقفت صرختها التراشق بين الطرفين على الفور ، وانتقلت أبصارهم جميعًا إلى (زيرو) ، الذى شحب وجهه ، وهو يقول :

— أنت مقاتلة إذن يا سيدتى .

ثم نهض ، وقال للدكتور (حجازى) ، الذى كان يحاول إيقاف الدماء المتدفقة من جُرح غائر فى ساقه اليمنى :

— حينما تقاتل النساء ، فإنهنّ يَفْطَنَّ أيضًا أيها الطبيب الشرعى .

أجابه (نور) فى صرامة :

— مُرْ رجالك بإيقاف القتال والاستسلام أيها الوغد ، أو تلقى حتفك .

ابتسم (زيرو) فى سخرية ، ثم ألقى بضع كلمات بالألمانية إلى رجاله ، وهنا شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهتف :

— أيها المخادع .

لم يكد يتمّ كلمته ، حتى ارتفعت أسلحة الجيش الأبيض فى وجوههم ، وأطلق (زيرو) ضحكة عالية ، وقال وعيناه تتألقان فى شماتة :

— يستسلمون؟!.. هل تتصوّر أن يتخلّى هؤلاء الرجال عن حلم عاشوا من أجله ما يقرب من قرن من الزمان ؟

سأله (نور) فى غضب :

— بم أمرتهم ؟

ابتسم (زيرو) فى سخرية ، على حين قال الدكتور (حجازى) :

— لقد أمرهم بإطلاق النار على رؤوسنا ، لو رفعنا أسلحتنا مرّة أخرى .

التفت (نور) إلى الدكتور (حجازى) ، وسأله فى دهشة :

— هل تعرف الألمانية يا سيدى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

— إنها واحدة من اللغات التى أجيدها يا (نور) ، ومن يعرف لغة عدوّ اتقى شرّه .

تألقت عينا (نور) فجأة ببريق مألوف ، أثار رجفة فى قلوب رفاقه ، وهتف :

— اللغة ؟!.. يا إلهى !! كيف لم أنتبه إلى ذلك ؟

ثم استدار إلى (زيرو) ، وهتف فى غضب :

— لقد خدعت الجميع أيها الوغد .. لقد خدعت الجميع .

وفى حركة سريعة مفاجئة ، هوى (زيرو) على فك (نور) بلكمة قوية أفقدته الوعى ، فزمجر الدكتور (حجازى) قائلًا :

— يا لك من مخادع !!

ابتسم (زيرو) فى شراسة ، وقال وهو يلوّح بكفّه فى حركة مسرحية شامتة :

ـ الخداع نصف النصر يا صديقى ، والحرب خدعة كما تقول أمثالكم العربية ، ثم انحنى كممثل محترف ، واستطرد :

ـ والآن أيها السادة .. أنا أدعوكم لمتابعة العد التنازلى لبدء المعركة ، ونهضة ألمانيا الجديدة من وسط الظلام .

* * *

استعاد (نور) وعيه فى بطء ، وانجابت الغشاوة عن عينيه فى هدوء ..

تسرّبت إلى أذنيه أصوات اختلطت بعضها ببعض ، ففتح عينيه فى بطء ، وطالعه وجه زوجته الباكية ، التى لم تكد تلمح عودته إلى وعيه ، حتى أحاطت رأسه بكفّيها فى حنان ، وهمست :

ـ كيف حالك يا زوجى العزيز ؟

لم يجب (نور) سؤالها على الفور .. تلفّت حوله أولاً ، ورأى الدكتور (حجازى) يتصبّب عرقًا ، وهو يضمّد جراح (محمود) و (رمزى) ، والدكتور (أحمد) بوسائل بدائية متجاهلاً جُرحه الذى لوّث ساقه بدماء متجمّدة ، وكشف

(نور) أن الدكتور (حجازى) قد ضمّد جراحه أيضًا ، فسأله :

ـ كيف حالهم يا سيّدى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) دون أن يلتفت إليه :

ـ أعتقد أن (رمزى) والدكتور (أحمد) سيتعافيان ، إذا ما قُدّر لنا البقاء على قيد الحياة ، أما (محمود) فأخشى أن يقضى نحبه ، لو لم يتم نقله إلى مركز طبّى خلال ساعتين على الأكثر .

تلفّت (نور) حوله فى قلق ، ثم عاد يسأله :

ـ أين نحن ؟

أجابته (سلوى) :

ـ داخل حجرة زجاجية تطلّ على مركز قيادة الجيش الأبيض يا (نور) ، لقد بدأ (زيرو) خطّته لغزو الأرض .

تحامل (نور) على ذراع زوجته ، وألقى نظرة من خلال الجدران الزجاجية على مركز القيادة ..

كان المكان يموج بالنازيين الجدد فى ثيابهم البيضاء ، وقد انهمكوا فى مراقبة شاشات أجهزة الكمبيوتر ، وإعداد أسلحتهم الثلجية ، لنشر الجليد فى العالم أجمع ، فغمغم (نور) فى حنق :

— أما من وسيلة لإيقاف هذه المذبحة ؟

أجابه الدكتور (حجازى) وهو يجفف عرقه :

— هذا الوغد مصاب بالجنون ، تصوّر أنه يصرّ على أن نشهد بدء الغزو ، قبل أن يوردنا حتفنا .

تلفّت (نور) حوله ، ثم قال :

— إنه لم يترك رجاله لحراستنا .

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

— وماذا يمكننا أن نفعل ؟ .. إن جيشه يحيط بنا ، وجميعنا لا نقدر على القتال ، بعد كل هذه الإصابات .

عقد (نور) حاجبيه وهو يبحث عن وسيلة لوقف هذا الغزو ، ثم لم تلبث ملامحه أن تألقت فجأة ، وهتف وهو يتعلق بذراع الدكتور (حجازى) :

— أنت تجيد الألمانية يا سيّدى .. أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى دهشة :

— بلى يا (نور) ، ماذا تنوى أن تفعل ؟

تألقت عينا (نور) مرة أخرى ، وهو يقول فى لهجة غامضة :

— سأحطم فى قلوب هؤلاء الرجال الأمل يا دكتور .

* * *

١٢ — استيقظوا ..

امتلأت نفس (زيرو) بالزهو والخيلاء ، وهو يرقب المراحل الأخيرة من لحظة الغزو ، التى أعدها منذ زمن طويل ..

كان يحلم باليوم الذى يسود فيه العالم ، وتهتف شعوب الأرض كلها باسمه ..

كان يحلم بالعظمة والزعامة والقوة ..

عاد ينظر إلى ساعته .. لم يعد هناك سوى ساعة واحدة ويبدأ الغزو ..

سيغطى العالم كله بالثلوج .. ثلوج باردة تحمل الموت والعذاب والدمار ..

سيبدأ العصر الجليدى الثانى ، ومعه تبدأ عظمة شعبه .. شعبه الذى ذاق الهوان طويلاً ..

وفجأة .. انبعث صوت دوى زجاج يتهشّم ، والتفت الجميع إلى حيث وضعوا (نور) ورفيقه ، وعقد (زيرو) حاجبيه فى غضب ، حينما رأى (نور) والدكتور (حجازى)

يطلان من خلال الزجاج المهشم ، فى حين رفع رجاله أسلحتهم القاتلة نحوهما فى انتظار أوامره ، ولكنَّ الدكتور (حجازى) رفع ذراعيه ، وصاح بالألمانية :

ــ استيقظوا أيها الرجال .. أفيقوا من الخديعة التى وضعكم فيها (زيرو) طوال جيل بأكمله ..

بعثت كلماته الدهشة فى نفوس الجميع ، خاصة (زيرو) ، الذى كشف أن الدكتور (حجازى) لم يكن يتحدث من تلقاء نفسه ، وإنما كان يترجم ما يقوله (نور) ، فهتف :

ــ اقتلوهم يا رجال .

هتف الدكتور (حجازى) بالألمانية ، مترجمًا كلمات (نور) :

ــ مهلًا أيها الرجال .. اسمعوا كلماتنا أولًا ، ثم أطلقوا النار علينا لو كنا على خطإ ..

ثم أسرع يستطرد :

ــ لقد خدعكم (زيرو) طول الوقت .. إن (الفوهلر) الذى تنتظرون عودته إلى الحياة لن يفعل ذلك أبدًا .. لقد لفظ أنفاسه الأخيرة على يد (زيرو) منذ خمسة وسبعين عامًا .

شحب وجه (زيرو) ، وصاح :

ــ لا تستمعوا لهم .. اقتلوهم قبل أن يخدعوكم .

ولكن أحدًا من رجاله لم يطلق النار .. كان حديث (نور) الذى يترجمه الدكتور (حجازى) قد أثار فضولهم إلى حدٍّ جعلهم يتلهفون على معرفة ما يعنيه منه ، ولم يحرمهم (نور) ذلك ، فقد تابع حديثه قائلًا :

ــ لقد خدعكم (زيرو) منذ البداية ، منذ أوهمكم أنه يسعى لبناء ألمانيا الجديدة .. وهو لا يسعى حقًّا إلا من أجل أن يتزعم قومه العالم .. هل تعلمون من هم قومه ؟ إنهم ليسوا الألمان على أية حال ، إنهم هذا الجنس ، الذى حاولتم القضاء عليه فى الحرب العالمية الثانية ، ذلك الجنس الذى يتخذ (نجمة داود) رمزًا له .

تفجرت الدهشة فى وجوه رجال الجيش الأبيض ، ونقلوا بصرهم بين (نور) ، و (زيرو) الذى شحب وجهه ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ..

كان شحوب وجهه وحده اعترافًا بصحة ما يقوله (نور) الذى تابع :

ــ لقد كان حلم (زيرو) كبنى قومه ، أن ينشئ وطنًا قوميًا لجنسه فى أى مكان فى العالم ، وهذا فى الواقع مبعث تجاربه

وإسهامه فيها، ولم يفقد قلبه يومًا كراهيته لـ(هتلر)، الذى أفنى نصف قومه؛ لذا فقد تفتق ذهنه عن هذه الخطة الجهنمية للانتقام من (الفوهلر) ومعاونة بنى قومه على الحصول على وطن قومى بالفعل .. لقد أقنع (هتلر) بخطته ، وجلبه إلى هذا المقر الذى لم يكن يعلم بوجوده سوى (هتلر) و (جورج) وأنتم يا من كنتم نواة جيش الانتقام .. وهنا أقنعكم (هتلر) بتنفيذ أوامر (زيرو) ، ثم جمّده هذا الأخير ، وقتله فى قبر ثلجى ، وتحقق له الجزء الأول من انتقامه ، ولكنه فى الوقت نفسه ضمن ولاء أشجع الجنود الألمان ، وبدأ تنفيذ الجزء الثانى من انتقامه ، ألا وهو استخدام الألمان أنفسهم فى الحصول على وطن قومى لبنى جلدته ، دون أن يعلموا ..

خفض رجال الجيش الأبيض أسلحتهم ، وقد تحطم فى أعماقهم الشىء الكثير ..

تحطم حلمهم .. تحطمت آمالهم .. تحطم حماسهم .. تحطمت أحلامهم ..

ولم يرحمهم (نور) ..

لم يرحمهم من الحقيقة ، وإنما تابع قائلاً :

— منحكم (زيرو) الشباب الدائم ، وضمن ولاءكم ،

وبدأ إعداد قوته والعمل على تطوير تجاربه وأسلحته ، ولكن حرب فلسطين* اندلعت قبل ذلك ، ولعلكم لا تعلمون شيئًا عنها حتى الآن ، وحصل قوم (زيرو) على وطن ، انتزعوه بكل ما فى نفوسهم من خسة وخداع ، وبدأ (زيرو) يتعاون مع بنى جنسه ، وقرر الجميع أن يستمروا فى الخدعة ، وأن يحتفظوا بكم كما يحتفظ الإنسان بكلاب الحراسة .. إلى أن تطورت أسلحة (زيرو) ، بعيدًا عن عيون جواسيس الأسرار .. تطورت أسلحته فى صمت وسرية ، ندر أن يتواجدا فى العالم .. وهو الآن يدفعكم لغزو العالم ، ثم يتخلص منكم ، ويجنى شعبه ثمرة عذابكم طيلة خمسة وسبعين عامًا ، هذا هو انتقامه من الألمان أيها السادة .

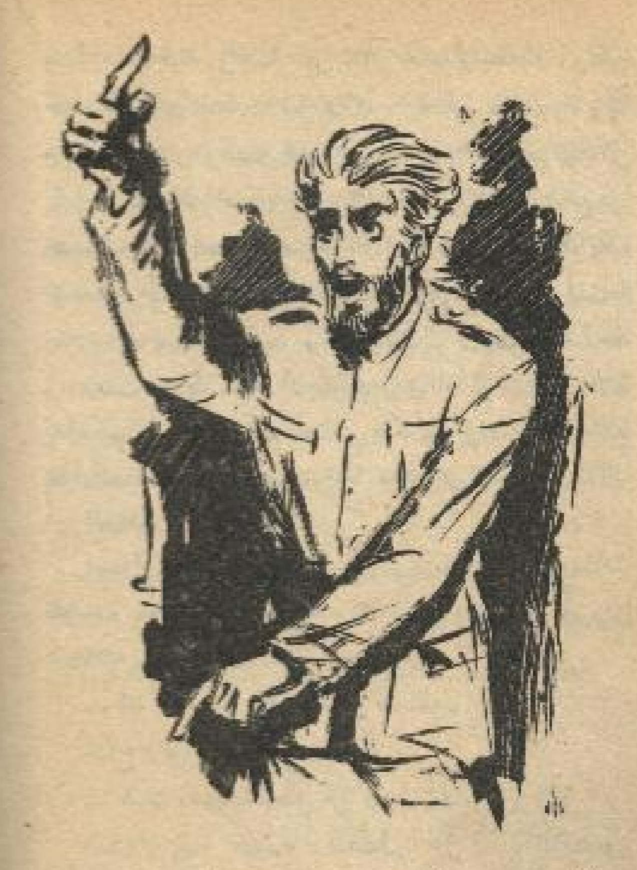
استدار جنود الجيش الأبيض إلى (زيرو) ، وامتلأت نفوسهم بالغضب والكراهية ، إلا أنه استجمع ما تبقى من شجاعته ، وصاح فى صوت متحشرج :

— إنه كاذب .. كل ما نطق به كذب .

صاح (نور) :

— هناك وسيلة للتحقق من صدق أحدنا يا (زيرو) .

استدار إليه الجميع ، فاستطرد على لسان الدكتور (حجازى) :



إلا أنه استجمع ما تبقّى من شجاعته ، وصاح فى صوت متحشرج :
ـ إنه كاذب .. كل ما نطق به كذب ..

ـ أعِد الحياة إلى (الفوهلر) .

شحب وجه (زيرو) ، على حين هتف رجال الجيش الأبيض :

ـ نعم .. أعد الحياة إلى (الفوهلر) .

لوّح (زيرو) بذراعه فى ضعف ، وقال فى صوت شاحب :

ـ لم يحن الوقت بعد .

صاح (نور) فى تحدٍّ :

ـ سيبدأ الغزو بعد أقل من ساعة ، ولن يضير (الفوهلر) أن يشهد لحظة انتصاره .

التقت عيون الجيش الأبيض عند (زيرو) ، الذى ارتعدت شفتاه ، وغمغم فى شحوب :

ـ حسنًا .. أنا أعترف .. لن يعود (الفوهلر) أبدًا إلى الحياة .

* * *

هوَى ذلك الاعتراف فى قلوب رجال الجيش الأبيض كخنجر مسموم ، وساد بعده صمت عميق ثقيل ، قطعه (زيرو) بصياحه :

ـ وماذا فى ذلك ؟

بدا كالمجنون وهو يلوّح بذراعيه صارخًا :

— لقد منحتكم الشباب الدائم ، منحتكم العظمة والخلود .. أنتم تدينون لى بالولاء ، وستطيعوننى ولو أمرتكم بإحراق أنفسكم أحياء .

غمغم الدكتور (حجازى) فى إشفاق :

— يا للمسكين !! لقد جُنّ .

قال (نور) فى صرامة :

— إنه مجنون منذ خمسة وسبعين عامًا يادكتور (حجازى) .

كان (زيرو) يواصل صراخه ، قائلاً :

— فليذهب (الفوهلر) إلى الجحيم ، لقد قادكم إلى الهزيمة والعار .. أما أنا فسأقودكم إلى غزو العالم كله ..

وقف الجنود لحظة يحدّقون فى الرجل الذى خدعهم طويلاً ، ثم ارتفعت فوّهات أسلحتهم نحوه فى آن واحد ، وكأنما اتفقوا على ذلك فى صمت ، ولكن أحد ضباطهم صاح يأمرهم بشىء لم يفهمه (نور) ، فاستدار إلى الدكتور (حجازى) وسأله :

— ماذا يقول هذا الرجل ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

— إنه يطلب منهم عدم قتله ، ويقول إنه يستحق عقابًا آخر ..

انقضّ الجنود على (زيرو) ، الذى أخذ يقاومهم فى ذعر وفزع ، وهو يصرخ :

— لا يمكنكم ذلك .. أنا (زيرو) العظيم .. أنا إمبراطور العالم .

حمل الجنود (زيرو) إلى حيث يقف (نور) ورفاقه ، وتقدّمهم أعلى ضباطهم رتبة ، ورفع يده بالتحية العسكرية أمام (نور) ، ثم نطق عبارة بالألمانية ، انتظر (نور) أن يترجمها الدكتور (حجازى) ، ولكن هذا الأخير لم يفعل ، بل ظلّ يحدّق فى وجه الضابط النازى مذهولاً ، إلى أن دفعه (نور) قائلاً :

— ماذا يقول الرجل يا دكتور ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) ولم تزايله الدهشة بعد ، وغمغم :

— لم أكن أتصور ذلك يا (نور) .. إن الجيش الأبيض يطلب منك تولّى قيادته .. إنهم ينصّبونك قائدًا يا (نور)

* * *

١٢ ــ وذابت الثلوج ..

ساد صمت ثقيل ، بعد أن ترجم الدكتور (حجازى) عبارة الضابط الألمانى لـ (نور) ، إلى أن قطعه (نور) ، قائلاً :

ــ إننى أرفض هذا الشرف أيها السادة ، لم تعد هناك ضرورة لوجود جيشكم هذا .. فالعالم قد نبذ الحروب المباشرة منذ زمن طويل .

ترجم الدكتور (حجازى) عبارة (نور) ، فعاد الصمت يسود المكان ، ثم قال الضابط الألمانى :

ــ أنت محق يا سيِّدى .. لم يعد هناك مبرِّر لوجودنا .

قال (نور) :

ــ إننى أطلب معاونتكم فقط على نقلنا إلى العالم الخارجى .. فزملائى يحتاجون إلى إسعاف عاجل .

رفع الضابط يده إلى رأسه بالتحية العسكرية ، وقال :

ــ سنفعل يا سيِّدى .. سنفعل على وجه السرعة .

تطلَّع (زيرو) إلى (نور) بعينين يطلُّ منهما الحقد ، وسأله فى صوت خافت بالعبرية :

ــ كيف عرفت كل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ اللغة التى أمرت بها الكمبيوتر أن يضىء الأنوار فى لقائنا الأول يا (زيرو) .. لقد كانت العبرية ، ولكننى لم أنتبه إلى ذلك وقتها ؛ لأننى كنت مشوَّش الذهن كثيرًا ، ثم تذكَّرت ذلك عندما تحدَّث الدكتور (حجازى) عن لغات الأعداء ، وفهمت كل شىء .. فاللغة العبرية لم تنتشر إلَّا بعد معركة فلسطين ، عندما قرَّر بنو جنسك إيجاد لغة جديدة تجمع بين الجميع ، خاصة وأنهم مهاجرون من دول تتحدَّث بلغات مختلفة(*) .. كان من العجيب فى ظلِّ هذه الظروف أن يستجيب الكمبيوتر للغة العبرية ، ما لم يكن قد أنتج هناك ، حيث يعيش بنو جلدتك .

دارت عينا (زيرو) فى محجريهما ، على حين تابع (نور) قائلاً :

ــ ذلك التيه العجيب الذى أنشأته أيضًا ، لم يكن له من مبرِّر ، إلَّا أن يكون طريقًا عسير الفهم ، تلتقى فى نهايته شموليك

(*) حقيقة تاريخية .

من بنى جنسك .. طريق من الصعب أن يتبعه أحد جنودك .. الذين دأبت على خداعهم .

حدّق (زيرو) فى وجه (نور) لحظة ، ثم صرخ فى جنون :

— كان ينبغى أن أقتلك منذ البداية .. كان ينبغى أن أفعل فور اكتشافى لدرجة تطوُّر عقلك ..

جذبه الجنود بعيدًا وهو يواصل صراخه ، فسأل (نور) :

— إلى أين يذهبون به ؟

أجابه الضابط الألمانى فى هدوء :

— إلى حيث يستحق .. لقد أعددنا له عقابًا مناسبًا ياسيِّدى .

أراد (نور) أن يسأله عن نوع العقاب ، ولكن الضابط استطرد :

— أعدُّوا أنفسكم ياسيِّدى .. سيتم نقلكم إلى العالم الخارجى بعد نصف ساعة من الآن .

* * *

أعدّ الجنود محفَّات مناسبة لنقل أفراد الفريق المصابين ، ومنحوهم ثيابًا ثقيلة تتحمَّل برودة الثلوج ، ثم قال قائدهم لـ(نور) :

— معذرة ياسيِّدى .. نسيت أن أخبرك أننا قد كشفنا تلك الإشارات التى كنت ترسلها لمركزكم الرئيسى ، وأوقفناها منذ بدء معركتك مع رجالنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

— كنت قد نسيت هذا .

ثم أردف فى لهجة توحى بالاهتمام :

— أين يقع هذا المكان بالضبط ؟

أجابه الضابط :

— على عمق كيلومتر واحد ، أسفل ثلوج (جرينلند) ياسيِّدى .

أطلق (نور) من بين شفتيه صفيرًا قصيرًا ، فور سماعه ترجمة الدكتور (حجازى) ، وقال :

— ياله من وكر !! لقد كان (زيرو) شديد الحذر .

ابتسم الضابط الألمانى ، وغمغم :

— نعم .. كان .

ثم أشار إلى الممرّ الذى يقود إلى حجرة (الفوهلر) ، وقال :

— من هنا أيها السادة .



فقد رأوا أمامهم مكعّبين من الثلج .. أحدهما يضم جسد (الفوهلر) ، والآخر يضمّ جسد (زيرو) ، وعلى وجهه أقسى آيات الرعب والفزع ..

تبعه الجميع في هدوء ، ولم تكد (سلوى) تخطو داخل حجرة (الفوهلر) ، حتى تراجعت وهي تكتم صرخة فزع ، كادت تقفز من بين شفتيها ، وكاد الجميع يفعلون مثلها .. فقد رأوا أمامهم مكعّبين من الثلج .. أحدهما يضمّ جسد (الفوهلر) ، والآخر يضمّ جسد (زيرو) ، وعلى وجهه أقسى آيات الرعب والفزع والجنون .

شعر (نور) باشمئزاز شديد ، وسأل الضابط في ضيق :

ــ أكان من الحتم أن تفعلوا به ذلك ؟

أجابه الضابط في هدوء :

ــ هذا هو الجزاء الذي يستحقه ياسيدي .

ثم ضغط زرًّا صغيرًا ، فانزاح جانب من الحائط ، كاشفًا مصعدًا كبيرًا ، أشار إليه الضابط ، وقال :

ــ سيحملكم هذا المصعد إلى أعلى أيها السادة ، وستجدون طوّافة من طوّافاتنا في انتظاركم .

سأله (نور) :

ــ وأنتم .. ماذا ستفعلون ؟

أطرق الضابط لحظة ، ثم أجاب وهو يبتسم ابتسامة حزينة :

— البحّارة لا يغادرون سفينتهم الغارقة يا سيّدى ..
اطمئن .. إنك لن تسمع عنا بعد الآن .

لم يفهم (نور) مغزى العبارة فى البداية ، ولكن الضابط لم يمهله ، فقد أشار إلى المصعد قائلاً :

— لم يعد هناك وقت .. لابدّ أن تنصرفوا على الفور .

* * *

ارتجف جسد (سلوى) مع كل تلك البرودة فى الخارج ، ودفعها البرد القارص إلى الإسراع إلى الطوّافة ، ولم يلبث رفاقها أن لحقوا بها ، وأدار (نور) محرّك الطوّافة ، وارتفع بها وهو يقول :

— يا لها من مغامرة !! هل كان أحدكم يتصوّر ذلك ؟

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

— لقد احتفظت بتذكار للمغامرة .

ثم أخرج من طيّات ثيابه سلاحًا ، من تلك الأسلحة التى يستخدمها رجال الجيش الأبيض ، فهتف به (نور) :

— لماذا أحضرته معك يا سيّدى ؟

أجابه الدكتور (حجازى) :

— سيسعد هذا رجال معمل الأبحاث كثيرًا .. ثم من يدرى ؟.. قد لا نلتقى بهم مرة ثانية .

تردّدت عبارة الدكتور (حجازى) فى رأس (نور) ..
وأضيفت إليها عبارتان أخريان ..

البحّارة لا يغادرون سفينتهم الغارقة .. لم يعد هناك وقت ..

صرخت العبارات الثلاث فى أذن (نور) ، فصرخ :

— يا إلهى !! لابدّ أن نحاول منعهم .. لابدّ ..

ثم أدار الطوّافة فى حركة حادّة ، انطلقت لها صيحة جزع من فم (سلوى) ، على حين هتف به الدكتور (حجازى) :

— ما هذا العمل الجنونى يا (نور) ؟

صاح (نور) :

— ألم تفهم بعد يا سيّدى .. هؤلاء المساكين سوف ....

لم يتمّ (نور) عبارته ..

بترها انفجار قوىّ ، تزلزلت له جبال الثلج فى (جرينلند) ، وانهار له الجليد فى كل صوب ، وسالت له دمعة ساخنة على وجنتى (نور) ، الذى غمغم فى حزن :

— كان ينبغى أن أتوقّع ذلك ..

هتفت (سلوى) فى جزع :

— ولكن لماذا ؟

أجابها (نور) فى حزن عميق :

— لم يعد لوجودهم فائدة فى أعماقهم .. انهارت آمالهم ، وتحطمت أحلامهم ..

ساد صمت عميق بضع لحظات ، والجميع يتأملون الثلوج الذائبة ، التى غمرت وكر البروفيسير (زيرو) ، ثم قال (نور) وهو يدير الطوافة بعيدًا :

— ذابت الثلوج يا رفاق .. انتهت هذه المهمة ، وعلينا الآن أن نسرع لإنقاذ رفاقنا ..

وانطلقت الطوافة صوب فجر جديد .

* * *



١٤ — الختام ..

نهض رئيس الوزراء يستقبل القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حرارة ، وهتف وهو يصافحه فى سعادة :

— لقد حقق رجالك انتصارًا رائعًا أيها القائد .. برقيات الشكر تنهال علينا من دول العالم أجمع .. إنه أروع انتصار منذ ....

قاطعه القائد الأعلى قائلًا :

— إنه نفس الفريق الذى قلت إنه تحطم تمامًا ياسيدى .

أطلق رئيس الوزراء ضحكة مرحة ، وقال :

— يبدو أن رجال المخابرات العلمية لايتحطمون أبدًا أيها القائد

ثم أردف فى اهتمام :

— وبالمناسبة .. كيف حالهم ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وقال :

— جميعهم بخير .. لقد تجاوز (محمود) و (رمزى) مرحلة

الخطر ، أمّا (نور) والدكتور (حجازى) فإصابتهمـــا طفيفة .. اطمئن ياسيّدى .. سيعود الفريق إلى العمل مرّة ثانية .

ثم رفع رأسه ، وقال فى فخر واعتزاز :

ـــ وستفخر المخابرات العلمية المصرية دوما بأنها تضم بين صفوفها الرائد (نور) وفريقه ياسيّدى .

* * *

[تمّت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥